بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ آيات الله الكونية فى القرآن وبيان أغراضها ﴾

أ . د / محمد شبل مصطفى عطية

الأستاذ المساعد بقسم التفسير

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث :

الحمد لله الذى جعل اياته فى كونه علامة على وجوده ، والصلاة والسلام على الرسول المجتبى ، والنبى المصطفى خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ، دعا الناس إلى الإيمان برب العالمين ، وأنقذهم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور العلم والإيمان ، وجعل من رعاة الإبل والأغنام قادة للأمم والآنام ، فصلوات ربى وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ، الذين كانوا مصابيح الهدى ونورالعلم ، ولذا أشاد الحق سبحانه بشأنهم فى الكتب المنزلة ، فقال تعالى ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم رُكَّعاً سُجَّداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ... ﴾ [1] فرضى الله عنهم أجمعين .

(وبعـــــد) ،،،

فلما كانت آيات الله الكونية المنصوبة فى الآفاق دلالات واضحة على قدرة خالقها ، وكان الناس فى غفلة عنها ، بترك النظر فى الآيات ، وعدم التدبر فى كتاب الله ، من أجل التذكر وأخذ العبرة ، فأردت أن ألفت الأنظار إلى الكونيات لعل البشر يتعظون أو يحدث لهم ذكرا ، فقد ورد فى القرآن الكريم نحو السبعمائة وخمسين آية متحدثة عن آيات الله الكونية ، فى الأنفس والآفاق ، إشارة إلى ما يسمى بدليل العناية الإلهية والحكمة الربانية فى المخلوقات جميعها ، المستلزمة

(١) سورة الفتح الآية الأخيرة .

لوجود خالقها ، وتصرفه فى شئون خلقه ، قال تعالى ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق . أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ﴾ [1] والقرآن حث البشر على ذلك ، حيث جعل التفكير السديد والنظر الصائب فى الكون وما فيه أعظم وسيلة من وسائل الإيمان ، فقد حث المسلم على التفكير فى اياته ، قال تعالى ﴿ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾ [2] كما حثه على التفكير فى نفسه وفى الطبيعة التى تحيط به فقال تعالى ﴿ وفى الأرض آيات للموقنين . وفى أنفسهم أفلا تبصرون . وفى السماء رزقكم وما توعدون . فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ﴾ [3] وحينما سمعها أحد الأعراب صرخ وقال من ذا الذى أغضب الجليل حتى ألجأه إلى اليمين ألم يصدقوه فى قوله حتى حلف [4] ، وقال سبحانه ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ [5] بل إن القرآن دعا إلى النظر فى الآفاق سماوية وأرضية ، وأنكر على من لم يعمل فكره فى الكون قال تعالى ﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة

---

(١) سورة فصلت آية ٥٣ .
(٢) سورة البقرة آية ١٦٤ .
(٣) سورة الذاريات الآيات من ٢٠ – ٢٣ .
(٤) الإتقان جـ٢ ص١٣٣ بتصرف .
(٥) سورة الغاشية الآيات من ١٧ – ٢١ .

وذكرى لكل عبد منيب ﴾ [1] أي أفلم ينظروا إلى آثار قدرة الله فى العالم العلوى والسفلى حين كذبوا مع أن آثار القدرة واضحة لمن أراد أن يذكر .

وقد أثبت الواقع أنه كلما تعمق الباحثون فى دراسة هذه الظواهر الطبيعية ، وجدوا فيها من العظمة والجلال ، ما تخر له النفوس ساجدة قائلة ﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلا ﴾ وقد أشاد القرآن بالعقل والحكمة وحرية التفكير ، وكان ذلك من العوامل التى دفعت بالمسلمين أن يطلقوا العنان لحريتهم فى البحث والتفكير ، وترجمة العلوم النافعة من اللغات الأخرى ، فكانت لهم حضارة علمية ثقافية ، مادية ومعنوية ، كان العالم ولا يزال مدينا لها ، الأمر الذى جعل الغربيين أنفسهم ينوهون بفضل الحضارة الإسلامية على أوروبا ونهضتها ، حيث أثبت القرآن حقائق علمية لم تعرف إلا فى عصر النهضة الأوروبية الحديثة ، فكان ذلك إعجازا علميا للقرآن ، حيث أنه نزل فى وقت لم تكن فيه هذه الحقائق معلومة لدى البشر ، وفى ذكر الآيات الكونية والعلمية فى القرآن دليل على إعجازه ، فهو يومئ إلى أن الزمن متجه فى سيره إلى الجهة العلمية القائمة على البحث والدليل ، وفيه ما يكفل للهيئة الإجتماعية سعادتها فى معاشها ومعادها من الدساتير الأخلاقية والقضائية ، والإدارية والسياسية ، وعظمة الأمثال والقصص إشارات وآيات بينات فى مسائل ، ما برحت العلوم الطبيعية تكشف عن كنهها منذ عصور ،[2] فلقد كان للآيات الكونية آثار عظيمة فى لفت الأنظار إلى عظمة الواحد القهار ، فى شئون خلقه بالتصرف والإيجاد ، قال تعالى : ﴿ إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل

(١) سورة ق الآيات من ٦ – ٨ .

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص١١٢ – ١١٣ .

النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ [1] حيث وصف القرآن الحركة بالسرعة فى قوله تعالى ﴿ يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا ﴾ ، لأن تعاقب الليل والنهار أمر ضرورى ، أى يذهب نور النهار ليتم قوام الحياة فى الدنيا بمجئ الليل ، وحدوث الليل والنهار بسبب دوران الأرض ﴿ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ﴾ تنبيها على أن الفلك الأعظم يحرك الأفلاك والكواكب على خلاف طبعها من المشرق إلى المغرب ، وقوله ﴿ مسخرات بأمره ﴾ من علم الهيئة التى يطلع فيه على جزئيات غريبة من صنعة الله تعالى يزداد لها إيمان المؤمن ، وفى قوله ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ أى له الإيجاد والإختراع فالمخلوقات كلها ملكه واختراعه ﴿ فتبارك الله رب العالمين ﴾ أى علا وعظم ، وقال رب العالمين لأنه خلق تلك الأشياء البديعة ، وهى عوالم كثيرة فهو رب لجميع العوالم [2] ، ونحن فى عصر طغت فيه الحضارة المادية ، وشاع فيها الإلحاد ، وتأثرت الأخلاق بالمظاهر الحديثة مما جعل البعض ينأى عن الجادة ويعرض عن الحق جهلا أو غباوة ، أو تأثرا بمظاهر الحياة الحديثة ، فضاعت القيم والأخلاق ، لذلك آثرت اختيار هذا الموضوع آيات الله الكونية عله يلفت أنظار البشر إلى النظر فى الكون ، وفى كتاب الله دستور المسلمين ليعود البشر إلى الصواب ، ويصححوا الأخطاء ، فيؤمنوا برب الأرباب ، قال تعالى ﴿ ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾ [3] ، ورحم الله ابن المعتز

(١) سورة الأعراف آية ٥٤ .
(٢) البحر المحيط جـ٥ ص٦٦ – ٨٨ بتلخيص وتصرف .
(٣) البقرة آيتا ٢١ ، ٢٢ .

الذى تعجب ممن يعصى الخالق مع وضوح دلائل وحدانيته فقال :

فيا عجبا كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد

وفى كل محدث له فى الورى وكل ممكن له شاهد

وفى كل شئ له آية تدل على أنه الواحد (١)

وبعد هذا البيان فقد وضعت خطة البحث كما يلى :

أولا : مقدمة البحث ثم إلى ثلاثة مباحث متتالية ثم خاتمة البحث .

أما المقدمة فقد تحدثت فيها عن سر اختيارى للموضوع ثم الحث على التفكير فى الكونيات .

أما المبحث الأول : فهو يتعلق بالحديث عن معنى الآية وأنواع الآيات الإلهية وتوضيح موقف القرآن من العلوم الكونية وسر اشتماله عليها .

أما المبحث الثانى : فهو يتعلق بالحديث عن الكونيات فى القرآن وتنوعها إلى سماوية وأرضية وإنسانية دلالات واضحة على قدرة خالقها سبحانه .

أما المبحث الثالث : فهو يتعلق بتوضيح الأغراض التى تترتب على وجود الكونيات فى القرآن مفصلة كما يلى :

أولا : أنها تدفع العقل البشرى إلى التفكير السليم .

ثانيا : أنها تحض المسلمين على إعداد القوة المادية لمواجهة الأعداء .

ثالثا : أنها تكون مادة للبرهان والجدل لإثبات الحقائق ودفع الخلافات .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ١ ص٥٩ ط الحلبى .

رابعا : أنها كانت مجالا للإعجاز العلمى فى القرآن وتحقق إعجازه .

خامسا : أنها ضربت بها أمثال القرآن للعبرة والعظة وتقريب الخفى وتصوير المعقول فى صورة المحسوس .

سادسا : أنها أخبرت عن إباحة ما خلق الله للإنسان من متع الحياة من أجل المعيشة والاستقرار والتمكين فى الأرض .

أما الخاتمة فهى نتائج البحث وما ترتب عليه من فوائد .

هذا وبالله التوفيق ،

المبحث الأول

١ - (تعـريف الآيـــــة) -

حينما نتحدث عن آيات الله يجب أن نعرف المراد بالآية : فالآيات جمع آية واشتقاقها إما من أى ، أو من التأيى الذى هو التثبت والإقامة على الشئ ، أو من قولهم أوى إليه أى مال إليه ، وأصلها العلامة : من شأنها أن تكون معلما ودلالة على الشئ ، والآية من المشترك اللفظى الذى يطلق على معان متعددة من حيث مفهومها اللغوى ، فتطلق باعتبارات أولها : على المعجزة : ومنه قوله تعالى ﴿ وما كان لرسول أن يأتى بآية ﴾ [١] أى بمعجزة ، وثانيها : العلامة : لقوله تعالى ﴿ إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت ﴾ [٢] أى علامة ملكه ، وثالثها : العبرة : لقوله تعالى ﴿ إن فى ذلك لآية ﴾ [٣] أى لعبرة لمن يعتبر ، ورابعها : الأمر العجيب : لقوله تعالى ﴿ وجعلنا ابن مريم وأمه آية ﴾ [٤] أى أمرا عجيبا فى الحمل والخلق ، وخامسا : الدليل : لقوله تعالى ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض ﴾ [٥] ، أى من أدلة وجوده وقدرته ، وسادسها : الجماعة : ومنه خرج القوم بآيتهم أى بجماعتهم ، أما تعريف الآية اصطلاحا : فتطلق على كل جملة من القرآن دالة على حكم ، وقد يقال لكل كلام منه منفصل بفصل لفظى [٦] ، وقال الجعبرى ، قرآن مركب من جمل ولو تقديرا ذو مبدأ ومقطع مندرج فى سورة [٧] ، وقد تكون آية كونية مبثة فى الكون للدلالة على قدرة الخالق من أجل الاعتبار والتدكر .

---

(١) الرعد آية ٣٨ . (٢) البقرة آية ٢٤٨ .
(٣) الشعراء آية ٨ ومكررة فى نفس السورة مرات متعددة .
(٤) المؤمنون آية ٥٠ .
(٥) الروم آية ٢٢ ومكررة فى نفس السورة كثيرا .
(٦) مفردات الراغب الأصفهانى ص٣٣ .
(٧) البرهان جـ١ ص٢٦٦ .

٢ - (أنواع الآيات الإلهية) -

تتنوع الايات الإلهية إلى نوعين : أولها : آيات تنزيلية عن طريق الوحى إلى الرسل الكرام ، وختم ذلك بالقرآن الكريم آخر التشريعات السماوية إلى البشر ، وثانيها : آيات تكوينية ظاهرة ومرئية للناظرين ، والهدف منهما واحد وهو هداية بنى الإنسان إلى الطريق المستقيم قال تعالى ﴿ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ [١] .

فالآيات التنزيلية : هى آيات القرآن الكريم المنزلة على النبى محمد ﷺ للتحدى والإعجاز ، والمنقولة إلينا بالتواتر بين دفتى المصحف ، وهى علامات دالة على صدق الرسول ﷺ فى رسالته بما تنطوى عليه من الإعجاز وهى بهذا المعنى كثيرة الورود فى مطلع كثير من السور القرآنية ، وفى وسطها ، كسورة الشعراء ، والحجر ، وهود ، ويوسف ، ويونس ، والنمل ، والقصص ، ولقمان ، والجاثية وغيرها [٢] ، حيث يقول الحق سبحانه ﴿ تلك آيات الكتاب ﴾ ووصفه بالبيان ، أو بالحكمة أو غيرها من أوصافه ، أى تلك آيات من الكتاب المنزل أو آيات القرآن الحكيمة ، قال تعالى ﴿ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ [٣] قال قتادة : « أى جعلت محكمة كلها لا خلل فيها ولا باطل ثم فصلت بالحلال والحرام ، وقال ابن عباس « لم ينسخها كتاب بخلاف غيرها » [٤] .

أما الآيات الكونية : فهى الآيات الظاهرة الموجودة فى الآفاق والمخلوقات

---

(١) الأنعام آية ١٥٣ .
(٢) انظر تلك الآيات فى مطلع السور المذكورة .
(٣) سورة هود آية ١ .
(٤) تفسير القرطبى جـ٤ ص٣٣٢٠ نشر دار الغد العربى .

علويها وسفليها علامات دالة على قدرة الله ووجوده وحكمته فى خلقه بما تنطوى عليه هذه الكائنات من عجائب التكوين ، وإحكام النظام ، ودقة السير وغير ذلك مما به سر بقائها قال تعالى ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾ (١) ، وقال تعالى ﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذى أحياها لمحيى الموتى إنه على كل شئ قدير ﴾ (٢) ، وقال تعالى ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين . ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون . ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ﴾ (٣) ، وقد روى البخارى فى صحيحه عن المغيرة بن شعبة قال : كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ يوم مات إبراهيم فقال الناس كسفت الشمس لموت ابراهيم فقال رسول الله ﷺ : إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، ولكنهما آيتان من آيات الله فإذا رأيتم فصلوا وادعوا الله ، (٤) ، وآيات الله التنزيلية مع آياته الكونية تتعاون فى مجال تربية الإنسان ، وإمداده بما يقوم حياته من الناحيتين المادية والروحانية باعتباره خليفة الله فى أرضه ، ففى الآيات التنزيلية غذاء الروح بما فيها من

(١) فصلت آية ٣٧ .
(٢) فصلت آية ٣٩ .
(٣) الروم الآيات من ٢٢ – ٢٥ .
(٤) صحيح البخارى كتاب الكسوف باب الصلاة فى كسوف الشمس ج١ ص١٨٤ بحاشية السندى .

هديات وإرشادات يحيا بها الإنسان ، قال تعالى ﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ (١) ، وفى الآيات التكوينية غذاء البدن ومقومات وجوده المادى ، بما فيه من مأكول ومشروب وملبوس ومركوب وغير ذلك من مقومات الحياة ، فبالتنزيلية تتربى الأرواح وبالتكوينية تتربى الأبدان ، قال تعالى ﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه . أنا صببنا الماء صبًا . ثم شققنا الأرض شقًا . فأنبتنا فيها حبا . وعنباً وقضباً . وزيتونا ونخلاً . وحدائق غلبا . وفاكهةً وأبًا . متاعا لكم ولأنعامكم ﴾ (٢) ، وقال تعالى ﴿ ألم نجعل الأرض مهاداً . والجبال أوتاداً . وخلقناكم أزواجاً . وجعلنا نومكم سباتاً . وجعلنا الليل لباسا . وجعلنا النهار معاشا . وبنينا فوقكم سبعا شدادا . وجعلنا سراجا وهاجاً . وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً . لنخرج به حبًا ونباتا . وجنات ألفافا ﴾ (٣) وكأنما جعل الله أمام الإنسان كتابين مقروءاً يتأمله ليستخرج منه الهدايات : قال تعالى ﴿ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ﴾ (٤) ، وقال تعالى ﴿ يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بأذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ (٥) وكتابا منظورا يتأمله ليستخرج منه منافعه ، باستعماله فيما خلق من أجله قال تعالى ﴿ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شئ موزون . وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين ﴾ (٦) ، وقال

---

(١) يونس آية ٥٧ .

(٢) سورة عبس الآيات من ٢٤ – ٣٢ . والأب ما تأكله البهائم من العشب والنبات . فهو المرعى المتهيأ للجز .

(٣) سورة النبأ الآيات من ٦ – ١٦ .

(٤) الاسراء آية ٩ . (٥) المائدة آية ١٦ .

(٦) الحجر آيتا ١٩ ، ٢٠ .

تعالى ﴿ وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون . وفى السماء رزقكم وما توعدون ﴾ [1] ، ونستطيع بعملية استقراء ومراجعة لكتاب الله تعالى ، أن نجد أن الله سبحانه وتعالى إذا نوه بآياته التنزيلية يعقبها مباشرة أو بفاصل قصير بالتنويه بآياته التكوينية كما جاء فى مطلع السور يونس وهود ويوسف والرعد وابراهيم والحجر والنمل ولقمان والسجدة ، والدخان والجاثية والأحقاف وغيرها ففى مطلع سورة يونس يقول الحق سبحانه ﴿ تلك آيات الكتاب الحكيم ﴾ وفى الآية الثالثة تحدث عن آيات الله الكونية بقوله ﴿ إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ... ﴾ الآية وفى الآية الخامسة قال ﴿ هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾ وفى الآية السادسة تحدث عن اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والأرض وختم الآية بقوله ﴿ لآيات لقوم يتقون ﴾ [2] ، وهذا دليل على ترابط آيات الله وتناسقها فى الدعوة إلى هداية بنى الإنسان إلى الإيمان بخالقه ومن شعراء الجاهلية من أشار إلى ذلك قال لبيد بن الأعصم :

تأمل سطور الكائنات فإنها ∴ من الملأ الأعلى إليك رسائل
وقد خط فيها ما لو تأملت خطها ∴ ألا كل شئ ما خلا الله باطل

وهو أصدق بيت قاله الشاعر كما روى مسلم فى صحيحه [3] ليكون عبرة لمن يعتبر .

(١) الذاريات الآيات من ٢٠ – ٢٢ .
(٢) انظر تلك الآيات فى مطلع سورة يونس .
(٣) صحيح مسلم كتاب الشعر جـ٢ ص٣٠٢ .

- (موقف القرآن من العلوم الكونية) -

نرى أن القرآن قد اشتمل على كثير من آيات الله الكونية ، ولفت الأنظار إلى التأمل فيها ، إلا أنه روعيت فيه بالنسبة إلى الأمور الكونية أمور خمسة ، لا يصدر مثلها عن مخلوق :

أولها : أنه لم يجعل تلك العلوم الكونية من موضوعه ، وذلك لأنها خاضعة لقانون النشوء والارتقاء ، وفى تفاصيلها من الدقة والخفاء ما يعلو على إفهام العامة ، ثم إن أمرها بعد ذلك هين بازاء ما يقصده القرآن من إنقاذ الإنسانية ، وهداية الثقلين إلى سعادة الدنيا والآخرة ، فالقرآن كتاب هداية ، وإذا ذكر فيه شئ من هذه الكونيات فإنما هى للهداية ودلالة الخلق على الخالق .

ثانيها : أن القرآن دعا إلى هذه العلوم فى جملة ما دعا إليه من البحث والنظر ، والانتفاع بما فى الكون من كونيات ، سخرها الله لحاجة الإنسان ، قال تعالى ﴿ قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى والآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ [1] وقال تعالى ﴿ وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ [2] .

ثالثها : أن القرآن حين عرض لهذه الكونيات جعلها مربوبة له تعالى ومقهورة لمراده ، ونفى عنها ما علق بأذهان كثير من الضالين ، الذين توهمونها آلهة ، وزعموها ذات تأثير وسلطان ، مع أنها خاضعة لقدرة الله وسلطانه ، قال تعالى ﴿ إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد

---

(١) يونس آية ١٠١ .
(٢) الجاثية آية ١٣ .

من بعده إنه كان حليما غفورا ﴾ [1] ، وقال تعالى ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴾ [2] .

رابعها : أن القرآن حين يعرض لآية كونية فى معرض من معارض الهداية ، يتحدث عنها حديث المحيط بعلوم الكون الخبير بأسرار السموات والأرض ، الذى لا تخفى عليه خافية فى البر والبحر ، ولا فى النجوم والكواكب ، ولا فى الإنسان والحيوان ، والنبات والجماد ، قال تعالى ﴿ إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ،ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون . فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم ، وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون . وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون . وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوانٌ دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمّان مشتبها وغير متشابه أنظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ﴾ [3] .

خامسها : إن الأسلوب الذى اختاره القرآن فى التعبير عن آيات الله الكونية أسلوب بارع جمع بين البيان والإجمال فى سمط واحد ، بحيث نجد النظم القرآنى واضحا فيما سيق له من دلالة الإنسان على وحدانية الله ، ولنضرب لذلك مثلا تلك الآية الحكيمة ﴿ ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾ [4] ، فإنها مرت

---

(١) سورة فاطر آية ٤١ .
(٢) الزمر آية ٦٧ .
(٣) سورة الأنعام الآيات من ٩٥ - ٩٩ .
(٤) الذاريات آية ٤٩ .

على بنى الإنسان منذ نزلت إلى الآن ففهموا منها جميعا ، أن الله تعالى يدل على قدرته وإبداعه وكماله ، بأنه خلق من الأشياء متنوعات مختلفة الأشكال والخصائص ، لكنهم اختلفوا بعد ذلك ، فالأوائل يؤثر عنهم أن المراد بالزوجين فى الآية : هما الأمران المتقابلان تقابلا ما ، لا بخصوص الذكورة والأنوثة ، أما المتأخرون : ففهموا أن الزوجين فى الآية هما الأمران المتقابلان بالذكورة والأنوثة [1] ، ومما سبق نرى أن سر شمول القرآن للكونيات كونه آيات بينات عن تكوين العالم ، وكيف كان هذا التكوين ؟ وعن الأطوار التى تنقل فيها ، وعن خلق الموجودات وأسباب الحياة ، وأمدنا نحن المسلمين فوائد عظيمة ، خاصة بنا ، لأن هذه المخترعات والمستحدثات وما أدت إليه من أدلة ونظريات علمية ، قد جاءتنا ببراهين جديدة على إعجاز القرآن ، الذى ندين الله عليه فقر بذلك أعين المؤمنين وسيرجع الفلكيون موحدين إذا علموا أن الأسرار العلمية التى يحسبونها جديدة هى فى القرآن كما ظهرت لهم ، وليست مهمة القرآن البحث فى الشئون الكونية ، والمسائل العلمية والفنية على النحو المألوف فى الكتب الخاصة ، بل أنه يتميز بطابع الهداية والموعظة ، وشفاء الصدور مما علق بها ، لأنه جاء وفى جزيرة العرب من العقائد الفاسدة ، والعلم الخاطئ بالكونيات أضعاف ما كان منها لدى بنى اسرائيل ، فكان من الحكمة الإلهية أن يتنزل على محمد ﷺ فى سبيل تصحيح تلك العقائد والمعلومات ، فكانت مهمة القرآن تمهيد السبيل إلى التعريف بالخالق ، فى إعانة العقول بضرب الأمثال : لم تفكر ؟ وكيف تفكر ، وفيم تفكر ؟ ولم يقف القرآن عند هذا الحد فيما ضرب من الأمثال ، فى بيان بعض غوامض الحقائق الكونية ، بل جاء بحقائق ثابتة أقر الناس بها ، ووقف العلماء والمفكرون

---

(١) مناهل العرفان جـ٢ ص٣٥٣ – ٣٥٦ بتلخيص وتصرف .

منها موقف الإعجاب [1] ، وأجالوا فكرهم فى توضيحها إقتداء بسيد البشر ﷺ فلقد قال له ربه ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ [2] ، وأمر سبحانه بالتدبر فى آيات القرآن فقال تعالى ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ [3] ، وبهذا لفت القرآن الأنظار إلى الكونيات من أجل التوصل إلى مبدعها سبحانه ، بل إن العلماء ذكروا ما يدل على كونها مربوبة لخالقها ، قال ابن القيم « إذا تأملت القرآن وتدبرته وأعرته فكراً واعيا نظرت فيه من أسرار المناظرات وتقرير الحجج الصحيحة وإبطال الشبه الفاسدة وذكر النقض والمعارضة والمنع ما يشفى ويكفى لمن بصره الله وأنعم عليه بفهم كتابه [4] ، فهو كتاب مقروء والكون كتاب منظور ، يدعوان بنى الإنسان إلى الغاية التى من أجلها خلقوا وهى طاعة الله وعبادته : قال تعالى ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ [5] ، وقال تعالى ﴿ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد ﴾ [6] ، أى أعظكم بواحدة فيها إصابتكم الحق وخلاصكم وهى أن تقوموا لوجه الله متفرقين اثنين اثنين وواحداً واحداً ، ثم تتفكروا فى أمر محمد وما جاء به ، فالفكرة فى حال رسول الله ﷺ وفيما نسبوه إليه ، فإن الفكرة تهدى إلى الصواب ، والقيام : هو الإنتصاب فى الأمر والنهوض فيه بالهمة ، وواحدة هى طاعة الله وتوحيده ، وقال السدى « هى لا إله إلا الله » ، وقال قتادة « هى أن

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعى ص١١٤ بتصرف .
(٢) النحل آية ٤٤ .
(٣) النساء آية ٨٢ .
(٤) بدائع الفوائد لابن القيم جـ٤ ص١٣٠ .
(٥) الذاريات الآيات من ٥٦ – ٥٨ .
(٦) سورة سبأ آية ٤٦ .

تقوموا لله كما قال أبو حيان ، [1] ولقد استدل خليل الرحمن بعملية استقراء للنجوم والكواكب واستنبط من ذهابها وغيابها وتغيرها على حدوثها ، فواجه قومه بقوله ﴿ إنى برئ مما تشركون . إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ﴾ ، وحاجّ قومه فى عبادة الأصنام والأوثان وأثبت لهم عجزها عن الخلق والنفع والضر ، أو أن تملك لنفسها شيئا ، فكيف تكون آلهة . ثم أمر الله رسوله ﷺ باتباع ملة ابراهيم عليه السلام ، فقال له ﴿ ثم أوحينا إليك أن اتّبعْ ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ﴾ [2] ، وهكذا فإن شمول القرآن للكونيات دليل بقائه ، وسر خلوده وصلاحيته ، لكل زمان ومكان ، روى الترمذى عن على رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ألا إنها ستكون فتنة ، فقلت ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : « كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، هو الذى لم تنته الجن إذا سمعته حتى قالوا ﴿ إنا سمعنا قرآنا عجبا . يهدى إلى الرشد فآمنا به ﴾ [3] من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » [4] .

---

(١) البحر المحيط جـ٢ ص٥٦٠ – ٥٦١ .

(٢) النحل آية ١٢٣ .

(٣) سورة الجن آيتا ١ ، ٢ .

(٤) سنن الترمذى جـ٤ كتاب فضائل القرآن باب ما جاء فى فضل القرآن ص٤١٥ وأخرجه ابن ماجه بلفظ « إ بين يدى الساعة فتنا كقطع الليل المظلم » الحديث فى كتاب الفتن باب التثبت فى الفتنة جـ٢ ص١٣١٠ عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه .

المبحث الثانى

- (أنواع الكونيات فى القرآن) -

تتنوع الآيات الكونيـة فى القـرآن الكريم إلى ثلاثة أنواع : النوع الأول : الآيات السماوية المتمثلة فى خلق السماء ورفعها بلا عمد ، وتزيينها بالكواكب السيارة ، وإمساكها عن الوقوع وخلق نجومها وأفلاكها وغير ذلك ، مما أودعه الله فيها من أسرار ، ومما يكون علويا بعيدا عنا مما يثير الرهبة والعظمة ، ويدعونا ذكره إلى أن يثير فضولنا العلمى ، وحب الاستطلاع فنأخذ فى توجيه أنظارنا إليه ، بالبحث والدرس والتحليل ، ومحاولة تسخيره لمنافعنا لأنه خلق من أجل الإنسان مسخرا مذللا قال تعالى ﴿ الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ﴾ (١) ، وقال تعالى ﴿ والسماء بنيناها بأييد وإنا لموسعون ﴾ (٢) ، وقال تعالى ﴿ ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرءوف رحيم ﴾ (٣) ، وقال سبحانه ﴿ وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ (٤) ، وقال تعالى ﴿ وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ﴾ (٥) ، وقال تعالى ﴿ إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ﴾ (٦) ، وقال تعالى ﴿ الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر

---

(١) الرعد آية ٢ .
(٢) الذاريات آية ٤٧ .
(٣) الحج آية ٦٥ .
(٤) فصلت آية ١٢ .
(٥) الأنعام آية ٩٧ .
(٦) سورة الصافات آية ٦ .

لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ﴾ [1] ، وغيرها من الآيات ، وقد أثبت الواقع أنه كلما تعمق الباحثون فى هذه الظواهر الطبيعية التى دعا القرآن إلى البحث والتنقيب فيها وتعلم أسرارها ، وجدوا فيها من جلال العظمة والعظة ما تخر له النفوس ساجدة قائلة ﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلا ﴾ كالشمس والقمر ﴿ والسماك ذات الحبك ﴾ [2] وغيرها ، إن النظر فى آيات الله يدعو إلى العجب ، وخاصة فى حركة الأفلاك ونظامها وجريها فى فلكها دون تصادم ، قال تعالى ﴿ والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون ﴾ [3] إن رواد الفضاء وعلماء الرصد والجاذبية يعلمون من عظمة الله فى هذه المخلوقات ، ما لا يعلمه غيرهم ، ممن لم يتسن له إرتياد هذه الآفاق العلمية ، وفى ذلك دعوة إلى تعلم علوم الفضاء والطير والإرصاد الجوى وغيرها .

النوع الثانى : الآيات الأرضية السفلية مما يحيط بالإنسان ويتعايش معه يزاوله ويلامسه ، ويكون فيه منافع وفوائد للإنسان ، من الأكل والشرب واللبس وغيرها مما يحتاج إليه الإنسان فى معيشته ، قال تعالى ﴿ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شئ موزون . وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين ﴾ [4] وحث سبحانه على السعى فى الأرض لطلب الرزق قال تعالى ﴿ هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه

(١) سورة إبراهيم الآيات من ٣١ – ٣٣ .
(٢) الذاريات آية ٧ .
(٣) سورة يس الآيات ٣٨ – ٤٠ .
(٤) الحجر آيتا ١٩ ، ٢٠ .

النشور ﴾ [1] ، قال ابن القيم « أخبر سبحانه أنه جعل الأرض ذلولا منقادة للوطء عليها وحفرها وشقها والبناء عليها ، ولم يجعلها مستصعبة ممتنعة على من أراد ذلك منها ، وأنه سبحانه وتعالى جعلها مهادا وفراشا وبساطا وقرارا والمقصود أنه سبحانه جعل الأرض كالجمل الذلول الذى كيفما يقاد ينقاد ، وحسن التعبير بمناكبها عن طرقها وفجاجها لما تقدم من وصفها بكونها زلولا ، ثم أمرهم أن يأكلوا من رزقه الذى أودعه فيها ، ثم نبه بقوله ﴿ وإليه النشور ﴾ على أننا فى هذا المسكن غير مستوطنين ولا دائمين ، بل دخلناه عابرى سبيل ، فتضمنت الآية الدلالة على ربوبيته وقدرته وحكمته ، والتذكر بنعمته وإحسانه ، والتحذير من الركون إلى الدنيا واتخاذها وطنا ومستقرا [2] ، وقال تعالى ﴿ وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون ﴾ [3] ، بل إن الحيوانات المختلفة التى تعيش على ظهر الأرض لها قيمتها فى استفادة الإنسان منها ، وهى من آيات الله الكونية قال تعالى ﴿ والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون ﴾ [4] ، إن من تأمل هذه الموجودات الكونية على اختلاف أشكالها وألوانها ، وطباعها ومنافعها ، ووضعها فى مواضعها محكمة ، علم قدرة خالقها وحكمته ، وعظيم سلطانه ، كما قال بعض الأعراب وقد سئل ما الدليل

---

(١) الملك آية ١٥ .

(٢) الفوائد لابن القيم ص٢١ – ٢٢ بتلخيص وتصرف .

(٣) النحل الآيات من ١٤ : ١٦ وانظر الآيات قبلها .

(٤) النحل الآيات من ٥ – ٨ .

على وجود الله ؟ فقال : يا سبحان الله ؟ إن البعر ليدل على البعير وإن الأثر ليدل على المسير فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير [1] ، وقال أبو نواس فى حكمه داعيا إلى أخذ العبرة من الأرض :

تأمل فى نبات الأرض وانظر إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات بأحداق هى الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك [2]

لقد دفعت هذه العلوم علماء المسلمين ، أن يطلقوا العنان لحريتهم فى البحث ، والتفكير ، فى الخلق ، والتجديد والإبتكار ، فكانت لهم نهضة علمية ثقافية ، فى جميع مجالات الحياة من علوم اقتصادية وطبية وجيولوجية وعلوم الهندسة والبحار وعلوم البيئة والاجتماع وغيرها ، وهذا من آثار القرآن فى إصلاح شئون الحياة وتعمير الأرض ، ووضع الأسس الصحيحة للمعيشة ، وللحياة البشرية من أجل التقدم والرقى لدى المسلمين .

النوع الثالث :

الآيات الإنسانية التى تكون متعلقة بالإنسان نفسه كالنفس البشرية التى أقسم الله بها فى قوله تعالى ﴿ ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾ [3] ، أى التى تلوم نفسها على ما فرطت فى حق الله ، ولقد قسم العلماء النفس الإنسانية إلى ثلاثة أقسام : منها النفس اللوامة والنفس الأمارة بالسوء ﴿ إن النفس لأمارة بالسوء ﴾ [4] ،

(١) تفسير ابن كثير جـ١ ص٥٨ .
(٢) تفسير ابن كثير جـ١ ص ٥٩ ط الحلبى .
(٣) القيامة آية ٢ .
(٤) يوسف آية ٥٣ .

والنفس المطمئنة التى قال الله عنها ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة . ارجعى إلى ربك راضية مرضية ﴾ [1] ، وقوله تعالى ﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ﴾ [2] ، وكالوالدية والولدية التى أقسم الله بها فى قوله ﴿ ووالد وما ولد ﴾ [3] ، وكالذكورة والأنوثة فى قوله تعالى ﴿ وما خلق الذكر والأنثى ﴾ [4] ، ولقد تحدثت آيات القرآن عن أصل خلق البشر وأنهم ينتمون إلى أصل واحد ، فقال تعالى ﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [5] ، وأخبر عن هذا الأصل بقوله تعالى ﴿ خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ، وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تؤفكون ﴾ [6] ، وأخبر عن تطور خلقة النفس البشرية بقوله تعالى ﴿ يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ، ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم . ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ... ﴾ الآية [7] وروى مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال ﴿ إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل

(١) الفجر آيتا ٢٧ ، ٢٨ .
(٢) الشمس آيتا ٧ ، ٨ .
(٣) سورة البلد آية ٣ .
(٤) سورة الليل آية ٣ .
(٥) الحجرات آية ١٣ .
(٦) الزمر آية ٦ .
(٧) الحج آية ٥ .

ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بكتابه أربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد ، [1] ولقد استدل القرآن بنفس الإنسان وخلقه فى أطوار مختلفة ليعتبر بها ، قال تعالى ﴿ الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ﴾ [1] ، فالآية إخبار بأن الله هو الذى خلقنا ضعفاء حيث يولد الإنسان ويتخلق من نطفة مهينة ، وهو فى غاية الضعف ، ثم يتكون طفلا هزيلا ، ثم يشب ويقوى شيئا فشيئا حتى يبلغ أشده ، فيكون أقوى ما يكون من قوة وبدنا وعقلا ، ثم تتراجع تلك القوة إلى الضعف والهزل عند الشيخوخة والهرم ، ولعل فى الآية عظة وعبرة للجبابرة الذين ينسون ماضيهم ومستقبلهم ، فإن مصيرهم المحتوم إلى الضعف كما كانوا فى أول أمرهم ، فلينظر الإنسان إلى نفسه التى هى أقرب شئ إليه ، ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ وفى أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ [2] فهو آية من آيات الله الكونية وواحد منها ، نراه مشدودا إليها متعلقا بها مصداقا لقوله تعالى ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم ما لا تعلمون ﴾ [4] ، ولذلك كرمه الله سبحانه وتعالى فى خلقته ليكون سيد هذا الكون ، من أجل تحقق الخلافة على ظهر الأرض ، قال تعالى ﴿ لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ﴾ [5] ، وسخر له الكونيات تكريما له ، وفضله على

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمى فى بطن أمه جـ٢ ص٤٥١ .
(٢) الروم آية ٥٤ .
(٣) الذاريات آية ٢١ .
(٤) البقرة آية ٣٠ وانظر ما بعدها .
(٥) التين آية ٤ .

كثير من خلقه قال تعالى ﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ (١) ، ولما كان الإنسان بحاجة إلى تنظيم الحياة واستقرارها شرع له الزواج من أجل الاستقرار وبقاء النوع الإنسانى قال تعالى ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون . ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين . ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون . ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماءً فيحيى به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون . وله من فى السموات والأرض كل له قانتون ﴾ (٢) ، فهى آيات بينات وبراهين قاطعات على قدرة الخالق ، فى استقرار الحياة ، وسكون الرجل إلى امرأته وخلق المودة والرحمة بينهما ، ثم تلفت الأنظار إلى سنة الله فى نشأة اللغات وتعددها ، وكذلك تفاوت الألوان بتفاوت البيئات وتوارث الأبناء آباءهم فى التشابه ، وآية الله فى النوم إعطا الراحة للبدن من الكدح والجد فى العمل بالنهار ، لتعود للجسد قوته وحيويته ، وآية الله فى البرق التعرف على سنن الله فيها ، وقد اكتشفوا منها التيار الكهربائى الذى قامت عليه أعظم حضارة ينعم بها الإنسان ، ومع ذلك فهى خطيرة لما تولده من الصواعق المهلكة إن الإسلام قد اعتنى بالإنسان عناية فائقة ، وشرع له تشريعات تحافظ عليه وعلى نسله وأمواله وعرضه وتصون كرامته ، ووضع أسس المعاملات

(١) الإسراء آية ٧٠ .
(٢) الروم الآيات من ٢١ - ٢٦ .

الإنسانية فشرع العقود ، وحرم الظلم والغش والفسق والسرقة وغيرها مما يترتب عليه الاضرار بالإنسان إنطلاقا من مبدأ (لا ضرر ولا ضرار) ليحيى الإنسان فى مجتمعه سعيدا ، وليحقق الغاية من خلقه بعبادة الله وطاعته ، وتعمير الأرض بخلق مجتمعات إنسانية صالحة تعمل من أجل أرضاء الخالق سبحانه وتحقق الخلافة ولينظر الإنسان إلى نفسه ومكوناتها ، وإلى أصل خلقته حتى لا يغتر أو يتكبر ، وليتق الله فى نفسه وفى عمله ، وفيمن وكل الله أمرهم إليه ، قال تعالى ﴿ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم . الذى خلقك فسواك فعدلك . فى أى صورة ما شاء ركبك ﴾ [1] وفى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها : قالت : قال رسول الله ﷺ ، إنه خلق كل إنسان من بنى آدم على ستين وثلثمائة مفصل فمن كبر الله ، وحمد الله ، وهلل الله ، وسبح الله ، واستغفر الله ، وعزل حجرا أو شوكة ، أو عظما عن طريق الناس وأمر بمعروف أو نهى عن المنكر عدد الستين والثلاثمائة فإنه يمشى يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار ، [2] وفى الكون أمور كونية لا يدركها الإنسان ، وتختلف الأنظار فيها بين كونها علوية أو سفلية من قبيل القوى الملائكية أو الروحانية أو الطبيعية ؛ كما فى قوله تعالى ﴿ فلا أقسم بما تبصرون . وما لا تبصرون . إنه لقول رسول كريم ﴾ [3] ، وكما فى قوله تعالى ﴿ والصافات صفا ﴾ وقوله ﴿ والنازعات غرقا ﴾ ، وقوله ﴿ والمرسلات عرفا ﴾ [4] ، وهناك أمورا كونية لم يستطع

---

(١) الإنفطار الآيات من ٥ – ٨ .

(٢) رواه البخارى ومسلم وانظر صحيح مسلم فى كتاب الزكاة باب أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف جـ١ ص٤٠٣ .

(٣) سورة الحاقة الآيات من ٣٨ – ٤٠ .

(٤) انظر أول سورة والصافات ، والنازعات ، والمرسلات .

العقل البشرى التوصل إليها بالرغم من التقدم العلمى ، لأن العقل البشرى ما زال قاصرا وعاجزا عن إدراك المراد منها ، لقوله تعالى ﴿ ويخلق ما لا تعلمون ﴾ (١) ، وفى ذلك دعوة إلى إعمال النظر ، وجولان الفكر فى آيات الله الكونية للإستفادة منها مصداقا لقوله تعالى ﴿ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ (٢) ، بل جاءت آيات القرآن تهدد من لم ينتفع بآيات الله وتنكر عليه عدم استفادته منها قال تعالى ﴿ أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم إلى الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء إن فى ذلك لآية لكل عبد منيب ﴾ (٣) .

(١) فى الآية ٨ من سورة النحل .
(٢) النمل آية ٩٣ والأخيرة .
(٣) سورة سبأ آية ٩ .

المبحث الثالث

- (الأغراض التى تترتب على وجود الكونيات فـــى الـقـــــــــــرآن) -

لوجود الكونيات فى القرآن أهداف وأغراض نبيلة لا غنى عنها ﴿ لمن أراد أن يذكـــر أو أراد شكوراً ﴾ [1] ويحتاج إليها كل من ﴿ كان له قلب أو ألق السمع وهو شهيد ﴾ [2] ذلك أن القرآ ن كتاب هداية وإرشاد ، ومواعظ وأحكام فلم تخل آياته من الكونيات وذلك للأغراض التالية :

أولا : (أنها تدفع العقل البشرى إلى التفكير السليم) فإن القرآن قد اشتمل على كثير من النعم الكونية ، والآيات الآفاقية فى الأنفس والآفاق وحث على التأمل والنظر فيها ، وبذلك فتح المجال للإنسان ، لينطلق من قيود الغفلة والجهالة والتقليد ، إلى مجالات البحث والتنقيب والاكتشاف ، والاختراع ، واستغلال ما أودع الله فى هذا الكون من قوى ونواميس أوجدها الله لصالح الإنسان ، من أجل تحقيق الخلافة ، ثم كفل له حرية البحث والتفكير ، وتوجيه العقول إلى الانتفاع بما أبدع الله من الكائنات حيث يقول تعالى ﴿ هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ﴾ [3] ، أى خلقه لأجل أن تنتفعوا به ، فى كل ما استطعتم أن تصلوا إليه من وجوه النفع ، فهذه الآية تدفعنا إلى التأمل والنظر ، فى كل ما حوت الأرض ، على عظمتها وسعة أرجائها ، لا فرق فى ذلك بين ما هو ظاهر فوقها ، وما هو مستقر فى جوفها من الكنوز الكثيرة المتنوعة ، ويحضنا على الانتفاع بنتائج

---

(١) الفرقان آية ٦٢ .
(٢) ق آية ٣٧ .
(٣) البقرة آية ٢٩ .

تفكيرنا ، فيما يحيط بنا من بدائع صنع الله [1] ، قال تعالى ﴿ قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ [2] ، ونعى القرآن على الذين لا ينظرون فيما حولهم من بدائع صنع الله ، فقال تعالى ﴿ وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون ﴾ [3] ، وقد أرسى القرآن قواعد البحث والتفكير على النحو التالى : أولا : حرر العقول من رواسب التفكير وعادات البيئة قال تعالى ﴿ وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ [4] ، ثانيا : نهى عن اتباع الظن والهوى ، والاسترسال مع الباطل فقال تعالى ﴿ وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا ﴾ [5] ، ثالثا : حث على الاعتبار بما أحل بالمعاندين الذين لا يصغون لصوت الحق ﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ [6] ، رابعا : نبه على أن الدعاوى لا يكون لها وزن ولا اعتبارإلا إذا قامت على الحجة والبرهان [7] فقال للمعاندين الذين يتمسكون بالباطل ﴿ نبئونى بعلم إن كنتم صادقين ﴾ [8] ، وقال تعالى ﴿ قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون . قل فلله الحجة البالغة ﴾ [9] ، وأمر بالتفكير فى آيات الله الكونية لأخذ

---

(١) البيان فى علوم القرآن للشيخ عبد الوهاب غزلان ص١٥ .
(٢) يونس آية ١٠١ .
(٣) يوسف آية ١٠٥ .
(٤) الزخرف آية ٢٣ .
(٥) النجم آية ٢٨ .
(٦) آل عمران آية ١٣٧ .
(٧) البيان فى مباحث من علوم القرآن ص١٣ ، ١٤ بتصرف .
(٨) الأنعام آية ١٤٣ .
(٩) الأنعام آيتا ١٤٨ ، ١٤٩ .

العبرة فقال تعالى ﴿ قل انظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ (١) ولما أنزل الله قوله تعالى ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ قال المشركون إن كان محمد صادقا فى قوله فليأتنا بآية ؟ فأنزل الله تعالى قوله ﴿ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾ (٢) والآيات التى ذكر فيها العقل والفكر والتفقه والتذكر فى القرآن كثيرة وهى تدعو الإنسان إلى الاستفادة من كتاب الله ، والله سبحانه وتعالى يقول ﴿ انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون ﴾ (٣) ، ولقد أخبر ابن عباس رضى الله عنهما أن قريشا أتت اليهود فقالوا ما جاءكم به موسى من الآيات ؟ قالوا عصاه ويده بيضاء للناظرين ، وأتوا النصارى فقالوا كيف كان عيسى فيكم ؟ فقالوا يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى ، فأتوا النبى ﷺ فقالوا ادع لنا ربك يجعل الصفا ذهبا فأنزل الله (٣) ﴿ إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا ﴾ (٤) ، ومن الواضح أنه لا سبيل إلى الانتفاع بما أبدعت القدرة الإلهية إلا بعد التفكير والوصول إلى ما أودع الله فى الكون من القوى والأسرار فآيات القرآن تدفع إلى التأمل والنظر فى كل ما حوته الأرض على عظمتها وسعة أرجائها ،

(١) يونس آية ١٠١ .
(٢) البقرة آيتا ١٦٣ ، ١٦٤ .
(٣) أسباب النزول للواحدى ص٧٩ – ٨٠ .
(٤) آل عمران آيتا ١٩٠ – ١٩١ .

ما ظهر منها وما خفى فى جوفها ، وتحض على الانتفاع بنتائج تفكيرنا فيما يحيط بنا من بدائع صنع الله ، ولقد نشط المسلمون الأوائل فى الدعوة إلى هذه المبادئ ونشرها فى أرجاء الدنيا ، فكونوا أمة لم يشهد التاريخ مثلها فى العظمة وسادت فيهم حضارة علمية وثقافية على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأديارهم بفضل صبرهم ، ووثوقهم بنصرة الله ، وتمسكهم بمبادئ دينهم الذى ربط بينهم برباط وثيق ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾ [1] ولقد أمر الله المسلمين باتباع ملة إبراهيم حنيفا فقال تعالى ﴿ فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ﴾ [2] ، وفى ملته المناظرة والمحاجة قال تعالى ﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ﴾ [3] لقد حاج النمرود مع شدته وحاج أباه وقومه عندما كسر الأصنام ليقيم الحجة عليهم بأنها لا تنفع ولا تضر ولا تستطيع أن تدفع عن نفسها شيئا ، ليثبت عدم صلاحيتها للألوهية ، ولعل فلاسفة المسلمين كانوا متمسكين بهذه الظاهرة حينما انطلقوا يعرفون الفلسفة ، بأنها البحث فى معرفة حقائق الموجودات ، وفى طبيعة الإنسان استعداد للعلم ، فالله قد منحه المجال الذى يشبع فيه رغباته فحثه على النظر فى الكون والاستفادة مما خلق الله ، ولذلك أثنى الله على العلماء الباحثين وجعلهم أهل خشية يقول العقاد ، إن الذين يتهمون القرآن بأنه لم يمس موضوعات التفلسف لعدم ملاءمة ذلك للعقلية العربية عليهم أن يتراجعوا عن اتهامهم عندما يجدون القرآن قد اشتمل على أكثر من سبعمائة وخمسين آية كونية ، فهو يعطينا أنماطا للتفكير الفلسفى من حيث أنه يذكر هذه

(١) آل عمران آية ١٠٣ .
(٢) آل عمران آية ٩٥ .
(٣) الأنعام آية ٨٣ .

الظواهر الكونية موجها الأنظار إلى المبدأ الفياض والفاعل الأول المكون لهذه الكائنات [1] ، التى جاءت رسالة الإسلام تؤكد وجوده وتثبت وحدانيته ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواءٍ بيننا وبينكم ألاَّ نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتّخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولّوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون ﴾ [2] ، ولذلك فإن مشركى مكة لما اقترحوا على نبى الإسلام أن يبهرهم بخوارق العادات والنواميس الكونية ، لم يجبهم إلى ما طلبوا ، لأن فى معجزة القرآن العقلية ما يكفى ويتناسب مع طبيعة الإسلام ، فى كونه خاتم الأديان السماوية تشريعا وافيا بكل متطلبات الحياة ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ﴾ [3] ولما أبى المشركون الإيمان حتى يأتيهم بخوارق كونية كما حكى القرآن عنهم ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً . أو تكون لك جنّةٌ من نخيل وعنب فتُفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تُسقط السماء كما زعمت علينا كِسَفاً أو تأتى بالله والملائكة قبيلاً . أو يكون لك بيت من زُخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لِرُقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا ﴾ [4] ، والقرآن قد أخذ يعجب ممن يجول بخاطره فى هذه الكائنات ولم يؤمن ، أو يجعل لله شريكا ﴿ أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار ﴾ [5] ، وطلب منهم إقامة البينة على ما يدعون فقال تعالى ﴿ قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا

---

(١) الفلسفة القرآنية للعقاد ص٦٧ بتصرف .
(٢) آل عمران آية ٦٤ .
(٣) من آية ٢٩ .
(٤) الاسراء الآيات من ٩٠ - ٩٣ .
(٥) الرعد آية ١٦ .

خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات إئتونى بكتابٍ من قبل هذا أو أثَارة من علم إن كنتم صادقين ﴾ [1] ، وقال تعالى ﴿ وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ﴾ [2] ، وكان اعتناء القرآن بإيقاظ العقول وحملها على التأمل والتفكير بالغا ، ثم نعى على المقصرين الذين لا ينظرون فيما حولهم من عجائب صنع الله : فقال ﴿ وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون ﴾ [3] وذم القرآن الذين يقلدون غيرهم بلا وعى أو تبصر ، ولذلك كانت دعوة خاتم الرسل ﷺ بالنداء إلى عبادة الله وحده ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾ [4] ، فهذا استدلال فى غاية الظهور على جميع مطالب أصول الدين من إثبات الصانع وكمال قدرته وإرادته ﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ [5] ومما سبق نرى أثر آيات الله الكونية فى لفت الأنظار إلى آثار قدرة الواحد القهار ، وإتمامه سبحانه نعمة العلم عليهم من أجل التبصر والتعقل والفهم فى الآيات والدلائل للوصول إلى الحقائق ، وتحقق الخلافة الإنسانية ومعرفة الغرض من الخلق وهو عبادة الله وطاعته وتعمير الكون بالاستفادة من العلوم النافعة .

---

(١) الأحقاف آية ٤ .
(٢) ص آية ٢٧ .
(٣) يوسف آية ١٠٥ .
(٤) البقرة آيتا ٢١ ، ٢٢ .
(٥) الأعراف آية ٥٤ .

ثانيا : (من أغراض آيات الله الكونية أنها تحض المسلمين على إعداد القوة المادية) لقد جاءت آيات الله الكونية ، داعية المسلمين إلى إعداد القوة المادية عن طريق القوة العلمية ، فإن القرآن بهذه الظاهرة قد أراد لأتباعه أن يأخذوا بأسباب القوة المادية ، وأهاب بهم أن يمتلكوا نواصى الكون ، وأن تكون لهم القيادة والريادة فى أرضه وسمائه مائه وهوائه ما يلج فى الأرض وما يخرج منها ، قال تعالى ﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرةً وذكرى لكل عبد منيب ﴾ [1] ، وأقوى القوى المادية ما كان مرتكزا على أساس من القوى الفكرية المتجددة ، قال تعالى ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز ﴾ [2] ، وقد وسع الله على عباده حين أمرهم بإعداد العدة قدر الاستطاعة إذ ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ [3] حتى يستمر العمل ويدوم عطاءه ولا يمل الإنسان منه ، ولذلك قال تعالى ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ﴾ [4] ، وعن أبى على ثُمَامَةَ ابن شفى أنه سمع عقبة بن عامر يقول (سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ ألا إن القوة الرمى ألا إن القوة الرمى ألا إن القوة الرمى قالها ثلاثا ، [5] .

---

(١) ق الآيات من ٦ – ٨ .
(٢) الحديد آية ٢٥ .
(٣) البقرة من الآية الأخيرة .
(٤) الأنفال آية ٦٠ .
(٥) رواه مسلم فى كتاب الإمارة باب فضل الرمى والحث عليه جـ٢ ص١٦١ .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شئ فلا تقل لو أنى فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان » [1] ، والقوى المادية لا غنى عنها لحماية الحق ، ولذلك أمر الله بالتعاون فقال تعالى ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ﴾ [2] وكتب العزة للمؤمنين فقال تعالى ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ [3] ، وتكفل بالدفاع عنهم فقال تعالى ﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور . أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ [4] وجاء فى الحديث القدسى المروى عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ أن الله تعالى قال : « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلىّ عبدى بشئ أحب إلى مما افترضت عليه وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وإن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه » الحديث [5] . ووعد الله المؤمنين بالتمكين فى الأرض فقال

---

(١) رواه مسلم فى كتاب القدر باب الأمر بالقوة وترك العجز جـ٢ ص٤٦١ .
(٢) المائدة فى آية ٢ .
(٣) المنافقون آية ٨ .
(٤) الحج الآيات من ٣٨ - ٤١ .
(٥) أخرجه البخارى فى باب التواضع جـ٤ ص١٢٩ بحاشية السندى .

تعالى ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون . وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ﴾ [1] ووعد الله صادق ومحقق . كما دعاهم إلى الاتحاد والترابط من أجل تحقيق القوة فقال تعالى ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته أخوانا ﴾ [2] ، وحذرهم من التفرق والاختلاف ، فقال تعالى ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ﴾ [3] ، وقال تعالى ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ [4] ، ووضع لهم الدستور الذى يجمع بينهم عند الاختلاف فى الرأى ، فقال تعالى ﴿ فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ [5] ، وحثهم على العمل من أجل تنمية المجتمع الإسلامى وتقدمه فقال تعالى ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ [6] ، وقال ﷺ فيما جاء عن أبى هريرة رضى الله عنه (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه) [7] ، وقد أشاد القرآن بالعلم ودعا إليه فقال تعالى

---

(١) النور آيتا ٥٥ ، ٥٦ .
(٢) آل عمران آية ١٠٣ .
(٣) آل عمران آية ١٠٥ .
(٤) الأنفال آية ٤٦ .
(٥) النساء آية ٥٩ .
(٦) التوبة ١٠٥ .
(٧) كشف الخفاء للعجلونى جـ٢ ص٢٨٦ ونسبه للطبرانى .

﴿ خلق الإنسان علمه البيان ﴾ [1] ، وامتن على رسوله بهذه النعمة فقال له ﴿ وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ﴾ [2] وأمره وكل مسلم أن يطلب المزيد من العلم فقال تعالى ﴿ وقل رب زدنى علما ﴾ [3] ، وقال تعالى ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ [4] ، وفرق بين العالم والجاهل فقال تعالى ﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ [5] ، وروى البخارى عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير إذا أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به » [6] وبهذا فتح القرآن أمام أنظار البشر صفحات من الكون ، ليكون المجال الحيوى والبيئة الخصبة لاستغلال ملكة العلم وممارسته على أوسع نطاق ، والإسترشاد بقواعده فى استخراج أسرار الكون وقواه ، وتسخيرها لإرادة الإنسان لجلب فوائده ومنافعه قال تعالى ﴿ الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر

(١) الرحمن آيتا ٣ ، ٤ .
(٢) النساء آية ١١٣ .
(٣) طه آية ١١٤ .
(٤) المجادلة فى اية ١١ .
(٥) الزمر فى آية ٩ .
(٦) رواه البخارى فى كتاب العلم باب فضل من علم وعلم جـ١ ص٢٦ بحاشية السندى .

لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار ﴾ [1] قال الشيخ سليمان الجمل (ذكر الله تعالى إنعامه بانزال المطر وإخراج الثمر لأجل الرزق والانتفاع به كما ذكر نعمته على عباده بتسخير السفن الجارية على الماء لأجل الانتفاع بها فى جلب الرزق الذى هو الثمرات وغيرها من بلد لأخرى ﴿ وسخر لكم الأنهار ﴾ ذللها لكم تجدونها حيث شئتم ولما كان ماء البحر لا ينتفع به فى سقى ولا زرع ذكر نعمته على عباده فى تسخير الأنهار وتفجير العيون لأجل هذه الحاجة ﴿ وسخر لكم الشمس والقمر ﴾ يجريان دائما فيما يعود إلى مصالح العباد بالنفع ﴿ وسخر لكم الليل ﴾ لتسكنوا فيه والنهار لتبتغوا من فضله ﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه ﴾ مما أنتم بحاجة إليه ﴿ وإن تعدوا نعمة الله ﴾ عليكم لا تحصوها لكثرة عددها وتنوعها إلى ظاهرة وباطنة [2] ، وأمر الله عباده المؤمنين بأن يسيروا فى الأرض من أجل العظة والعبرة ، وأن يعملوا من أجل القوة قال تعالى ﴿ هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ [3] أى وجعل لكم الأرض لينة سهلة المسالك فسيروا حيث شئتم من أقطارها ، وترددوا فى أقاليمها وأرجائها للمكاسب والتجارات ﴿ وكلوا من رزقه ﴾ أى انتفعوا بما أنعم الله به عليكم من أنواع الرزق والكسب ، وكثيرا ما يعبر عن وجوه الانتفاع بالأكل لأنه الأعم ، وأضاف الرزق إليه سبحانه لأنه بيده وحده حيث ضمن الرزق لجميع مخلوقاته [4] قال ابن القيم أخبر سبحانه أنه جعل

---

(١) إبراهيم الآيات من ٣٢ – ٣٤ .

(٢) حاشية الجمل على الجلالين جـ٢ ص٥٢٥ – ٥٢٦ بتصرف .

(٣) الملك آية ١٥ .

(٤) صفوة التفاسير جـ٢٩ ص٤١٨ .

الأرض ذلولا منقادة للوطء عليها ، وحفرها وشقها والبناء عليها ، ولم يجعلها ممتنعة على من أراد ذلك ، وأخبر أنه سبحانه جعلها مهادا وفراشا وبساطا وكفاتا ، وأخبر أنه دحاها وطحاها وأخرج منها ماءها ومرعاها ، وثبتها بالجبال وأخرج منها العيون ، وبارك فيها وقدر فيها أقواتها ، وجعلها كالجمل الذلول الذى كيفما يقاد ينقاد ، وحسن التعبير بمناكبها عن طرقها وفجاجها لما تقدم من كونها ذلولا ، ثم أمرهم أن يأكلوا من رزقه الذى أودعه فيها ، ثم قال وتضمنت الآية الدلالة على ربوبيته وقدرته وحكمته ولطفه ، والتذكر بنعمته وإحسانه ، والتحذير من الركون إلى الدنيا واتخاذها وطنا ومستقرا » [1] ، كما جاء القرآن بالتشريعات الحربية التى تحث على الإستعداد للأعداء ، وتربى الأمة على الشجاعة الكاملة وتنقذها من الخنوع والاستسلام لأعدائها ، وتبشر من قتل وهو يحارب دفاعا عن دينه ووطنه بأعلى الدرجات قال تعالى ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ﴾ [2] وأمر بالثبات عند لقاء الأعداء فقال تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ [3] ، وقال تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ﴾ [4] ، وعد الرسول ﷺ فى حديثه أن من السبع الموبقات (التولى يوم الزحف) ، وامتدح الثابتين عند اللقاء فقال تعالى ﴿ وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ﴾ [5] ، وقال

---

(١) الفوائد لابن القيم ص٢١ – ٢٢ بتلخيص وتصرف .
(٢) التوبة آية ١١١ .
(٣) الزنفال آية ٤٥ .
(٤) الزنفال آية ١٥ .
(٥) آل عمران آية ١٤٦ .

تعالى ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ﴾ [1] فالإسلام أمر بإعداد القوة المادية التى تتمثل فى تقوية جيوش المسلمين وتزويدها بكل مقومات الدفاع ، بالإضافة إلى القوة المعنوية فى الثقة بنصرة الله وتأييده كما أمر الله بتوفير الأموال اللازمة للجيوش لتجهيزها ، ودعا إلى الاتحاد والترابط وتنمية القوى الإرادية بالعلم والتدريب ، وبالعمل الجاد فى ميادين الحياة من أجل النمو والتقدم قال تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ [2] وليعلم المسلمون أن النصر مع الصبر وأن القوة فى الأتحاد ، والغلبة فى الترابط والعزم قال تعالى ﴿ وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ [3] .

ثالثا : (من أغراض الكونيات فى القرآن كونها مادة للبرهان والجدل) فالقرآن يتخذ من هذه الظاهرة مادة للبرهان والجدل وإقامة الحجة والدليل على وجوده تعالى ووحدانيته ، وعلمه وحكمته ، وقدرته على البعث والنشور من حيث أن القادر على البدأ قادر على الإعادة ، فمن حيث الاستدلال على وجود الله تعالى ووحدانيته ببرهان التمانع المشار إليه فى قوله تعالى ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ [4] ومن حيث الاستدلال على البعث بطريق القياسى بضروب متعددة : منها قياس الإعادة على الإبتداء قياس مساواة كما فى قوله تعالى ﴿ كما بدأكم تعودون ﴾ [5] ، ومنها قياس الإعادة على خلق السموات والأرض بطريق الأولى ،

---

(١) الأحزاب آية ٢٣ .
(٢) آل عمران آية ٢٠٠ والأخيرة .
(٣) الصافات آية ١٧٣ .
(٤) الأنبياء آية ٢٢ .
(٥) الأعراف فى آية ٢٩ .

نحو قوله تعالى أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ﴾ [١] ، ومنها قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات ، وآيات القرآن كثيرة فى كل موضع ذكر فيه إنزال الماء ، قال تعالى ﴿ والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور ﴾ [٢] ، وقال تعالى ﴿ يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ﴾ [٣] ومنها قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر الأخضر قال تعالى ﴿ الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون ﴾ [٤] ، ومنها ما ذكره فى قوله تعالى ﴿ يأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شئ قدير . وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ﴾ [٥] فإن فى الآيات خمس نتائج تترتب على خمس مقدمات [٦] ، وقال تعالى ﴿ ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب

---

(١) يس آية ٨١ .
(٢) فاطر آية ٩ .
(٣) الروم آية ١٩ .
(٤) يس آية ٨٠ .
(٥) الحج الآيات من ٥ – ٧ .
(٦) البرهان جـ٢ ص٢٧ والاتقان جـ٢ ص١٣٦ .

الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج ﴾ [1] وكثير غيرها من الآيات بل إن من الجدير بالملاحظة أنه غالبا ما إذا ذكر الإنسان وخلقه يلوح بخلقه ثانيا قال تعالى ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين . ثم إنكم بعد ذلك لميتون . ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾ [2] ، وعندما أخذ أبى بن خلف عظما باليا وفتته بيده ثم قال يا محمد أترى أن الله يبعث هذا بعد ما أرم ؟ قال نعم ويميتك ثم يبعثك ويدخلك جهنم فأنزل الله ﴿ وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم ، قل يحيها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ [3] ورد الله على المشركين المنكرين للوجود الإلهى بقوله تعالى ﴿ أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون. أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون . أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون . أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون . أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون ﴾ [4] ، ولفت القرآن أنظار المنكرين

(١) ق الآيات من ٩ – ١١ .
(٢) المؤمنون الآيات من ١٢ – ١٦ .
(٣) سورة يس آيتا ٧٨ ، ٧٩ وانظر أسباب النزول للواحدى ص٢٠٩ .
(٤) النمل الآيات من ٦٠ – ٦٥ .

والجاحدين من المشركين إلى الكونيات لإقامة الحجة عليهم بقوله سبحانه مخاطبا رسوله ﷺ ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل أفلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون . بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون . ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون . عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ﴾ [1] ، وأنكر القرآن عليهم التسوية بين الخالق والمخلوق فقال تعالى ﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ﴾ [2] بل قد أوضح أن هناك من يجادل فى الله بغير علم وكذلك فى الحقائق دون دليل أو برهان على صحة ما يقول ، قال تعالى ﴿ ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله ﴾ [3] ، وقال تعالى ﴿ ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ﴾ [4] والآيات نزلت فى النضر بن الحارث وأمثاله والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، ويقيم القرآن الحجة على الإنسان بالتفكر فى أصل خلقته حتى يمتنع من الجدال بالباطل ليدحض الحقائق كما يفعل الكفرة والمشركون والجهلة من المسلمين ﴿ ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتى وما أنذروا هزوا . ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه ﴾ [5] وأقرب شئ إلى الإنسان نفسه ولذلك يقول تعالى

---

(١) المؤمنون الآيات من ٨٤ – ٩٢ .
(٢) النحل آية ١٧ .
(٣) الحج آيتا ٨ ، ٩ .
(٤) الحج آية ٣ .
(٥) الكهف آيتا ٥٦ – ٥٧ .

﴿ وفى أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ [1] وقال تعالى ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب . إنه على رجعه لقادر ﴾ [2] فهل فكر الإنسان فى أصل خلقه حتى لا يجادل بالباطل ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى . ألم يك نطفة من منى يمنى . ثم كان علقة فخلق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى . أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ﴾ [3] بلى إنه قادر على ذلك ، ولقد كان للإسلام الفضل والسبق فى وضع أسس المناقشة الجادة ، حيث جعل الإتفاق والإجماع وسيلة من وسائل تشريعه لمناقشة قضايا المجتمع البشرى وحاجات الإنسانية مما تستدعيه طبيعة النوع البشرى الذى طبع على الجدال والمناقشة من أجل الوصول إلى الحقائق وحل المشكلات بالطرق السلمية ، وكلما نزع الإنسان إلى حل المشكلات بتحكيم العقل كلما قرب إلى السمو الإنسانى النبيل ، وتحققت خلافته الإنسانية ، ولما كان جدل القرآن براهينه وأدلته التى اشتمل عليها وساقها لهداية الكافرين وإلزم المعاندين فى جميع ما قصد إليه من أصول الشريعة وفروعها فقد دعا إلى السلام والوئام والترابط بين الجنس البشرى وفض مشكلاته بالحسنى ، ولذلك أمر الله رسوله ﷺ أن يجادل بالحسنى فقال له ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾ [4] ، وأمر المسلمين بمجادلة أهل الكتاب بالحسنى فقال تعالى ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾ [5] ، وهذا هو الجدال المشروع الذى

---

(١) الذاريات آية ٢١ .
(٢) الطارق الآيات من ٥ – ٨ .
(٣) القيامة الآيات من ٣٦ – ٤٠ .
(٤) النحل آية ١٢٥ .
(٥) العنكبوت آية ٤٦ .

أرشدت إليه آيات الله الكونية ، بخلاف الجدل القبيح الذى يسئ إلى البشر ولم يحقق هدفا ، وما أكثر الجدال بالباطل فى العصر الحاضر المسمى بعصر التقدم التكنولوجى فى شتى ميادين الحياة ولكن تدهور الأخلاق والكذب والرياء أضاع الثقة فى النفوس فكثرت المناقشات العقيمة وضاعت الحقائق وانتشر الفساد وعمت الفوضى . فأصبح الحال على ما يرى ولن يعود للمسلمين مجدهم وكرامتهم إلا بالعودة إلى كتاب الله وأخذ العبرة منه فى الجدال والمناقشة والحوار من أجل الإقناع ، واختيار الوسائل السليمة من أجل البناء والتقدم قال تعالى ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ [1] .

رابعا : (من أغراض آيات الله الكونية أنها مجال للإعجاز العلمى فى القرآن) : فقد اشتمل القرآن على كثير من العلوم والمعارف الكونية والإنسانية المشتملة على أصول الإصلاح العقائدى النفسى والخلقى والإجتماعى والسياسى والإقتصادى والفكرى فكان بذلك كتاب هداية ومنهج حياة [2] كان دينا ودولة شريعة وسياسة من أجل إقامة الحياة السليمة قال تعالى ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ [3] وتعرض القرآن لحقائق كونية كثيرة فى كثير من آياته ، ولفت أنظار الباحثين والمفكرين فى مختلف المعارف الإنسانية إلى أن فيه حقائق علمية ودقائق كونية لم تكشفها البشرية إلا بعد نزولها على النبى الأمى بقرون كثيرة فى عصر النهضة الأوروبية الحديثة التى ظهرت فى القرن التاسع عشر ، والتى كانت أثرا وصدى لما فى الإسلام من الحث على

---

(١) النحل آية ٦٤ .

(٢) دراسات فى علوم القرآن د/ محمد بكر اسماعيل ص٤٠٣ - ٤٠٤ .

(٣) النحل آية ٨٩ .

التعلم والتدبر فى ملكوت السموات والأرض قال تعالى ﴿ أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ ﴾ [1] ، وقال تعالى ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ﴾ [2] ، وفى هذه الظاهرة إعجازا علميا للقرآن ومعجزة باهرة لنبى الإسلام من حيث أنه أخبر عنها قبل وجودها بزمن طويل وما ذاك إلا لأنه تلقاها من لدن حكيم عليم ، إن الدراسات الكونية ليس السبيل إليها تعاليم الأديان لأنها نزلت للهداية ، وإنما السبيل إليها البحث والدرس والتجارب والاستنباط ، قال تعالى ﴿ ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ [3] وتلك بضاعة العقل التى هى ميزة الإنسان على غيره ، والتى من أجلها استحق الخلافة على ظهر الأرض ، ليعمل عقله وفكره فيما يحيط به من كونيات ، حتى يحقق الغاية التى من أجلها خلق ، وهى طاعة الله وعبادته قال تعالى ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [4] ، يقول الأستاذ فريد وجدى فى كتابه الإسلام والمدنية (إن الإسلام دين خدمته العلوم الطبيعية على غير علم من ذويها حتى صارت نصوصه فى هذا القرآن أوضح من الضياء ، فلا ترى قاعدة دلت عليها التجارب ، ولا نظرية يكون لها أثر فى ترقية الإنسان وتحسين بناء العمران ، إلا وهى صدى صوت آية قرآنية ، أو حديث من الأحاديث النبوية ، حتى ليخيل للرائى أن كل جدل ونشاط من علماء الكرة الأرضية فى سبيل رفعة شأن الإنسانية لا يقصد به

---

(١) الأعراف آية ١٨٥ .
(٢) فصلت آية ٥٣ .
(٣) النساء آية ٨٣ .
(٤) الذاريات آية ٥٦ .

إلا إقامة الحجة على صحة قواعد الإسلام [١] الذى ارتضاه الله دينا للإنسانية كلها ، وقد استخرج بعض علمائنا من القرآن ما يشير إلى مستحدثات الاختراع وما يحقق بعض غوامض العلوم الطبيعية ، من ذلك طريقة التصوير الشمسى بإمساك الظل فى قوله تعالى ﴿ ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ﴾ [٢] ، ومنها كشف أن مادة الكون هى الأثير والله يقول ﴿ ثم استوى إلى السماء وهى دخان ﴾ [٣] ، ومنها ما حققوه من أن الأرض انفتقت من النظام الشمسى والله يقول ﴿ أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ﴾ [٤] ومنها ثبوت أنه لولا الجبال لاضطربت دورة الأرض قال تعالى ﴿ وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم ﴾ [٥] ، ومنها تحقيق أن كل شئ حى فهو من الماء قال تعالى ﴿ وجعلنا من الماء كل شئ حى ﴾ [٦] ومنها ما كشفوه من تلاقح النبات وأنه أزواجا قال تعالى ﴿ فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى ﴾ [٧] وقال تعالى ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين ﴾ [٨] ولعل هذا وأمثاله يكون لمحة وإشارة إلى التدبر فى القرآن وإحكام النظر فيه لاستخراج إشارات كثيرة ، تومئ إلى حقائق العلوم وتدل عليها ، وإن هذه العلوم الحديثة على اختلافها تقودنا إلى تفسير بعض معانى القرآن ، والكشف عن حقائقه ، ولا جرم

---

(١) الإسلام والمدنية للأستاذ فريد وجدى .
(٢) الفرقان آية ٤٥ .
(٣) فصلت آية ١١ .
(٤) الأنبياء آية ٣٠ .
(٥) لقمان آية ١٠ .
(٦) الأنبياء آية ٣٠ .
(٧) طه آية ٥٣ .
(٨) الحجر آية ٢٢ .

أن هذه العلوم ستدفع بعد تمحيصها وإتصال آثارها الصحيحة بالنفوس الإنسانية إلى غاية واحدة وهى تحقيق الإسلام وأنه الحق الذى لا مرية فيه وأنه فطرة الله التى فطر الناس عليها وأنه الدين الطبيعى للإنسانية كلها [١] ، وفى القرآن إشارات علمية سبقت مساق الهداية كقضية التلقيح بالنقل عن طريق الرياح ، والأوكسجين ضرورى ويقل فى طبقات الجو العليا فكلما ارتفع الإنسان فى أفق السماء شعر بالضيق والله يقول ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء ﴾ [٢] وقد ساد الاعتقاد بأن الذرة هى الجزء الذى لا يقبل التجزئة وفى القرآن ﴿ وما يعذب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين ﴾ [٣] فأخبر أن الذرة ليست أصغر شئ فى الوجود وأنها مكونة من أجزاء ثلاثة بريتون ونيترون والاكترون وأساسها النواة ومداراتها الخارجية وجاء العالم المصرى الحديث أحمد زويل وأثبت هذه التجربة العلمية مع إشارة القرآن إليها قديما . وفى علم الأجنة قوله تعالى ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق ﴾ [٤] ،وفى أخذ البصمة قوله تعالى ﴿ بلى قادرين على أن نسوى بنانه ﴾ [٥] ، تلك إشارات علمية سبقت مساق الهداية وللعقل البشرى أن يتدبر فيها ، وهكذا فإن إعجاز القرآن العلمى فى أنه يحث المسلمين على التفكير ويفتح لهم أبواب المعرفة ويدعوهم إلى ولوجها والتقدم فيها وقبول كل جديد راسخ من العلوم فإن حقائق القرآن نهائية

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعى ص١١٠ - ١١١ .
(٢) الأنعام آية ١٢٥ .
(٣) سورة يونس آية ٦١ .
(٤) الطارق آية ٥ وانظر ما بعدها .
(٥) القيامة آية ٤ .

قاطعة ، أما يصل إليه البحث الإنسانى فهى حقائق غير نهائية وهى مقيدة بحدود وظروف التجارب الإنسانية ، وكل محاولة لتعليق الإشارات القرآنية العامة بما يصل إليه العلم تحتوى على خطأ منهجى لا يليق بالقرآن كسوء فهم البعض لطبيعة القرآن ووظيفته ، والتأويل المستمر لنصوص القرآن وكذلك ما يتخيله بعض الناس من أن العلم هو المهيمن والقرآن تابع ، ومن هنا يحاولون تثبيت القرآن بالعلم ، والذين يفسرون القرآن بما يطابق مسائل العلم ويحرصون على أن يستخرجوا منه كل مسألة تظهر فى أفق الحياة يسيئون إلى القرآن فهم يظنون أنهم يحسنون صنعا ، لأن هذه المسائل التى تخضع لسنة التقدم تتبدل وتتغير ، والقرآن كتاب عقيدة وهداية يخاطب الضمير فيحيى فيه عوامل النمو والإرتقاء ، وإعجازه العلمى ليس فى اشتماله على النظريات العلمية التى تتجدد وتتبدل وتكون ثمرة للجهد البشرى فى البحث والنظر ، وإنما فى حثه على التفكير ، فهو يحث الإنسان على النظر فى الكون وتدبره ، ولا يشل حركة العقل فى تفكيره أو يحول بينه وبين الاستزادة من العلوم ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، فأى مسألة من مسائل العلم أو قاعدة من قواعده تكون محققة لما حث عليه القرآن من تفكير سليم ولا تتعارض معه ، والقرآن يجعل التفكير السليم والنظر الصائب فى الكون وما فيه أعظم وسيلة من وسائل الإيمان ، فهو يحث المسلم على التفكير فى مخلوقات الله فى السماء والأرض ، ويحثه على التفكير فى نفسه وفى الطبيعة المحيطة به وفى الأرض التى يعمرها قال تعالى ﴿ أو لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى ﴾ [1] ويثير فى الإنسان الحث العلمى للتفكير

(١) الروم آية ٨ .

والفهم والتعقل قال تعالى ﴿ كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تتفكرون ﴾ [1] ، وقال تعالى ﴿ كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴾ [2] وقال تعالى ﴿ انظر كيف نصرف الايات لعلهم يفقهون ﴾ [3] ، ويرفع الله مكانة المسلم بفضيلة العلم ولا يسوى بين العالم والجاهل ولا بين الأعمى والبصير ولا بين الظلمات والنور ولا الظل ولا الحرور ولا بين المؤمن والكافر قال تعالى ﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب ﴾ [4] ، وقال تعالى ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ [5] ويجمع الله علوم الفلك والنبات وطبقات الأرض والحيوان ويجعل ذلك من بواعث خشيته [6] قال تعالى ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [7] وفى علوم الطب يقوله تعالى ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ [8] فإن الله جمع علوم الطب كلها فى هذه الآية كما قال بعض المفسرين ولذلك فإن إعجاز القرآن العلمى بشموله على الكونيات وسيلة من وسائل خلوده وبقائه فإن فيها دعوة إلى البحث والتجارب والاستنباط من أجل الاستفادة من الكونيات فى تعمير الكون وتحقق الخلافة قال تعالى ﴿ فلا أقسم بما تبصرون .

---

(١) البقرة آية ٢١٩ .
(٢) يونس آية ٢٤ .
(٣) الأنعام آية ٦٥ .
(٤) الزمر آية ٩ .
(٥) المجادلة آية ١١ .
(٦) مباحث فى علوم القرآن لمناع قطان ص٢٧٨ – ٢٨٠ .
(٧) فاطر آية ٣٧ ، ٣٨ .
(٨) الأعراف آية ٣١ .

وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون . ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون . تنزيل من رب العالمين ﴾ [1] .

خامسا : (من أغراض الكونيات فى القرآن إنها كانت مادة لضرب الأمثال للعبرة والعظة) : فالقرآن يتخذها وسيلة لضرب الأمثال للبيان والإيضاح ، كما يظهر من تعريف المثل القرآنى الذى هو إبراز المعنى فى صورة رائعة موجزة لها وقعها فى النفس سواء كانت تشبيها أو مثلا مرسلا [2] وضرب الأمثال فى القرآن يستفاد منه فى أمور كثيرة فى التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل وتصويره فى صورة المحسوس فإن الأمثال تصور المعانى بصورة الأشخاص ، وتأتى مشتملة على بيان تفاوت الأجر وكل شئ له قالب ومقدار وقالب الكلام ومقداره الأمثال [3] ، قال تعالى ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ [4] ، ففى أكثر من سورة وأكثر من مثل ضربه الله فى القرآن يكون المشبه به كائنات علوية أو سفلية من السماء والماء والهواء والأعاصير والصواعق والرعد والبرق ، والنار والزرع والشجر والثمرات والجنات ، والسراب والظلمات ، والعنكبوت والذباب والبعوض ، والكلب والحمار ، والليل والجبل والحبة وغيرها مما ضرب بها أمثال القرآن وكلها آيات كونية توحى بعظمة خالقها وقدرته بل إن الإنسان نفسه ذكره الله مشبها به ومادة لضرب المثل قال تعالى ﴿ ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم

(١) الحاقة الآيات من ٣٨ – ٤٢ .
(٢) مباحث فى علوم القرآن للقطان ص٢٥٣ .
(٣) البرهان جـ١ ص٤٨٧ .
(٤) العنكبوت آية ٤٣ .

يعقلون ﴾ [1] وقال تعالى ﴿ ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون . وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ﴾ [2] ، كانت هذه الكائنات مادة ضربت بها أمثال القرآن تقبيحا وتحسينا وبيانا للثواب والعقاب ، وتصويرا لما يريد القرآن تصويره من المعانى لابراز المعقول فى صورة المحسوس ، وتقريب الأمور الغيبية والمعنوية ، ولذلك كثرت أمثلة القرآن كالتعبير عن فناء الدنيا أو فى بيان إحباط عمل الكافرين والمرائين أو فى بيان تفاهة المنافقين والكافرين ، أو فى بيان زيادة ثواب المنفقين أو لإثبات وحدانية الخالق سبحانه ، وإثبات قضية البعث واليوم الآخر ، فقد ضرب الله المثل لفناء الحياة وزوالها فى أكثر من موطن قال تعالى ﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا ﴾ [3] ، وقال تعالى ﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ﴾ [4] فالمراد بالمثل فى الآيات قلة ثبات زهرة الدنيا وزوالها كقلة بقاء الخضرة للزرع بعد نضجها وإتمام ثمارها فإنها تفنى وتصير هشيما تذروه الرياح هكذا تكون الدنيا ومتاعها ، قال النسفى (شبه حال الدنيا وسرعة تقصيها

---

(١) الروم آية ٢٨ .
(٢) النحل آيتا ٧٥ ، ٧٦ .
(٣) الكهف آية ٤٥ وانظر آية ٢٤ من سورة يونس .
(٤) الحديد آية ٢٠ .

مع قلة جدواها بنبات أنبته الغيث فاستوى وقوى وأعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم فالدنيا وما فيها ليست إلا من محقرات الأمور وهى اللهو والزينة والتفاخر والتكاثر ، وأما الآخرة فهى أمور عظام من العذاب للكافرين والمغفرة والرضوان للمؤمنين)[1] وضرب الله مثلا لعدم نفع عمل الكفار ورده وإحباطه ، وعدم قبوله عند الله بقوله تعالى ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ... ﴾[2] قال القرطبى (هذا مثل ضربه الله للكفار يعولون على ثواب أعمالهم فإذا قدموا على الله تعالى وجدوا ثواب أعمالهم قد أحبطت بالكفر أى لم يجدوا شيئا كما لم يجد صاحب السراب إلا أرضا لا ماء فيها ثم يهلك أو يموت ، وفى الآية اللاحقة بها ﴿ أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب .. ﴾[3] الآية يقول ضرب الله مثلا آخر للكفار أى أعمالهم كسراب بقيقة ، ، أو كظلمات لا يرى فيها شيئا وضرب الله مثلا لضياع ثواب أعمال المرائين وإحباطها عند الحاجة إليها قال تعالى ﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت ﴾[4]

أخرج البخارى عن ابن عباس قال : قال عمر بن الخطاب يوما لأصحابه عن النبى ﷺ فيمن ترون هذه الآية نزلت ﴿ أيود أحدكم ...الخ ﴾ قالوا الله أعلم ، فغضب عمر فقال قولوا نعلم ، فقال ابن عباس فى نفسى منها شئ ، فقال يا ابن

---

(١) تفسير النسفى جـ٤ ص٢٢٧ ط عيسى الحلبى .
(٢) النور آية ٣٩ .
(٣) تفسير القرطبى جـ٦ ص٤٨٢٠ – ٤٨٢١ .
(٤) البقرة آية ٢٦٦ .

أخى قل ولا تحقر نفسك ، قال ابن عباس ضربت مثلا لعمل قال عمر أي عمل ؟ قال ابن عباس لرجل غنى عمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أغرق أعماله [1] ، وفى قوله تعالى ﴿ أنزل من المساء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زيد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الأمثال ﴾ [2] روى ابن جرير عن ابن عباس قال (هذا مثل ضربه الله احتملت منه القلوب على قدر يقينها ، وهو اليقين كما يجلى الحلى فى النار فيؤخذ خالصه ويترك خبثه فى النار ، كذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك ، وأخرج عن عطاء قال (هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ، وروى ابن أبى حاتم عن قتادة قال هذه ثلاثة أمثال ضربها الله فى مثل واحد ، يقول كما اضمحل هذا الزبد فصار جفاء لا ينتفع به ولا ترتجى بركته كذلك يضمحل الباطل عن أهله [3] ، وكما مكث هذا الماء فى الأرض فأمرعت وربت وأنبتت فكذلك الذهب والفضة حين أدخل النار فأذهب خبثه كذلك يبقى الحق لأهله وكما اضمحل خبث الذهب والفضة كذلك يضمحل الباطل عن أهله [4] كذلك ضرب الله مثلين للمنافقين فى قوله تعالى ﴿ مثلهم كمثل الذى استوقد نارا ﴾ لما فى النار من مادة النور ومثلا مائيا فى قوله تعالى ﴿ أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ﴾ [5] لما فى الماء من مادة الحياة ، وقد نزل الوحى من

(١) فتح البارى كتاب التفسير باب أيود أحدكم أن تكون له جنة جـ٨ ص٤٩ .
(٢) الرعد آية ١٧ .
(٣) تفسير ابن جرير الطبرى جـ٢٣ ص٩١ ط بولاق .
(٤) التيسير فى معرفة بعض علوم القرآن الكريم للمؤلف ص٥٧ ط٩٤ .
(٥) البقرة آيتا ١٧ ، ١٩ .

السماء متضمنا لاستنارة القلوب وحياتها ، وذكر الله حظ المنافقين فى الحال ، فهو بمنزلة من استوقد نارا للإضاءة والدفع حيث انتفعوا ماديا بالدخول فى الإسلام ، ولكن لم يكن له أثر نورى فى قلوبهم ، فذهب الله بما فى النار من الإضاءة وأبقى ما فيها من الإحراق ، وذكر مثلهم المائى فشبههم بحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق فخارت قواه ووضع أصبعيه فى أذنيه وأغمض عينيه خوفا من صاعقة تصيبه ، لأن القرآن بزواجره وأوامره ونواهيه نزل عليهم نزول الصواعق وهذين المثلين ذكرهما الله فى الآية السابقة حيث شبه الوحى الذى أنزله الله من السماء لحياة القلوب بالماء الذى أنزله لحياة الأرض بالنبات وشبه القلوب بالأودية والسيل إذا جرى فى الأودية احتمل زبدا وغثاء فكذلك الهدى والعلم إذا ثرى فى القلوب أثار ما فيها من الشهوات ليذهب بها وهذا هو المثل المائى ، وذكر المثل النارى فى قوله ﴿ ومما يوقدون عليه فى النار ﴾ فالمعادن عند سبكها تخرج النار ما فيها من الخبث وتفصله عن الجوهر الذى ينتفع به فيذهب جفاء فكذلك الشهوات يطرحها قلب المؤمن) [1] وضرب الله مثلا لحال اليهود وما هم عليه من الجهل بالأحكام وشبههم بأخس الحيوانات فقال تعالى ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾ [2] الآية . فإن الغرض من المثل هنا تشبيه حال اليهود فى جهلها بما معها من التوراه وآياتها الباهرة بحال الحمار الذى يحمل أسفار الحكمة وليس له من حملها إلا النقل والتعب من غير فائدة ، كما يضرب مثلا لمن لم يعمل بعلمه من العلماء ، ومن قرأ القرآن ولم يعمل بأحكامه [3] ، وضرب الله مثلا لمن يبطل صدقته بالمن والأذى كالذى

(١) مباحث فى علوم القرآن لمناع قطان ص٢٩٣ - ٢٩٤ بتصرف .
(٢) الجمعة آية ٥ .
(٣) التيسير فى معرفة بعض علوم القرآن الكريم للمؤلف ص٦٧ .

ينفق ماله رئاء الناس أو يمن بالصدقة أو ينفقها قاصدا منها مأربا أو عرضا دنيويا فحذر الله من ذلك قال تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا ﴾ (١) ، أى مثل الحجر الذى أنزل عليه الماء فأزال ما عليه وتركه يابسا وهذا تصوير لإبطال ثواب الصدقة وعدم قبولها عند الله ، وضرب الله مثلا لمضاعفة ثواب صدقة المنفقين ابتغاء وجه الله تعالى بقوله ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء ﴾ (٢) قال الزمخشرى (تصوير للأصناف أى مثل نفقتهم كمثل حبة أنبتت سبع سنابل أى تخرج ساقا يتشعب منه سبع شعب لكل واحدة سنبلة فى كل سنبلة مائة حبة لأن الحسنة بعشر أمثالها والله يضاعف لمن يشاء لتفاوت أحوال المنفقين أو يضاعف السبعمائة ويزيد عليها لمن يستوجب ذلك (٣) ، وضرب الله مثلا للكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة قال تعالى ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ..... ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ﴾ (٤) ، قال القرطبى (الكلمة الطيبة لا إله إلا الله والشجرة الطيبة المؤمن ، وقال مجاهد (الشجرة النخلة وروى حديث أنس أن (مثل الإيمان كمثل شجرة ثابتة الإيمان عروقها ، والزكاة فروعها ، والصيام أغصانها ، والتأذى فى الله نباتها ، وحسن الخلق ورقها ، والكف عن محارم الله ثمرتها ، والكلمة الخبيثة كلمة الكفر ، وقيل

---

(١) البقرة آية ٢٦٤ .
(٢) البقرة آية ٢٦١ .
(٣) الكشاف جـ١ ص١٥٩ – ١٦٠ .
(٤) ابراهيم الآيات من ٢٤ – ٢٦ .

الكافر نفسه والشجرة الخبيثة (شجرة الحنظل كما فى حديث أنس ، وهو قول ابن عباس ومجاهد (ما لها من قرار) من ثبات أو من أصل فى الأرض فكذلك الكافر لا حجة له ولا ثبات ، وقال معاوية (الكلمة الطيبة لا إله إلا الله كشجرة طيبة قال المؤمن (أصلها ثابت) (لا إله إلا الله ثابتة فى قلب المؤمن ، (ومثل كلمة خبيثة) قال الشرك كشجرة خبيثة قال المشرك [1] لأنه لا أمان له ولا عهد ولا ذمة . وأمثلة القرآن لا تحصى وأغلب آيات الله الكونية تتعلق بالأمثال وقد تعددت أغراض الأمثال فى القرآن حتى جلت عن الحصر وعزت عن الإحصاء ولكنها ترجع فى جملتها إلى غرض واحد وهو دعوة الناس جميها إلى الله تعالى وردهم إلى الفطرة التى فطر الله الناس عليها .[2]

سادسا : (من أغراض وجود الكونيات فى القرآن أنها أخبرت عما أباحه الله للبشر من متع الحياة) فالله سبحانه قد خلق الدنيا وما فيها من كائنات ومخلوقات علوية وسفلية ظاهرة وباطنة مما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وكلها مخلوقات مسخرة لخدمة الإنسان قال تعالى ﴿ خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكون النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار ﴾ [3] ثم أوضح الله أثر قدرته فى الماء وغيره مما أباحه للإنسان من أجل التمتع والاستفادة مما خلق الله قال تعالى ﴿ والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه

(١) تفسير القرطبى جـ٦ ص٣٥٨٨ - ٣٥٩١ بتصرف .
(٢) دراسات فى علوم القرآن د/ محمد بكر اسماعيل ص٣٧٦ .
(٣) الزمر آية ٥ .

إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون ﴾ [1] فقد أوضحت الآيات الكريمة منافع الأنعام من الإبل والبقر والأغنام فى الملبس والمأكل واستخدامها فى وسائل التنقل والسفر إلى بلد لم يستطع الإنسان الوصول إليه إلا بشق الأنفس كما أوضحت منافع الخيل والبغال والحمير فى التنقل والركوب عليها واستخدامها فى الحرب وفى حمل الأثقال ، بالإضافة إلى ما فيها من وسائل الزينة فى المظهر ، وفى تذللها للإنسان ، وتوضيح ما فيها من جمال المظهر فى الروح والسرح ، حينما ترجع ممتلئة البطون ، وكذلك ما يحمل عليها من المتاع وغيره من الفرش وكل ما يحتاج إليه الإنسان قال تعالى ﴿ ومن الأنعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ [2] ، بل إن الإسلام أمر الإنسان بالإستفادة منها فى المأكل والملبس والمصنع قال تعالى ﴿ والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن فى ذلك لآية لقوم يسمعون . وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين . ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا إن فى ذلك لآية لقوم يعقلون . وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ [3] ، قال القرطبى (ذكر الله فى الآيات عدة دلالات على قدرة الله تبارك وتعالى فى إنزال الماء من

(١) النحل الآيات من ٥ – ٨ .
(٢) الأنعام آية ١٤٢ .
(٣) النحل الآيات من ٦٥ – ٦٩ .

السماء لإحياء الأرض بعد يبسها وجدبها ، وكذلك فى خلق الأنعام وجعلها عبرة أي دلالات على قدرة الله والعبرة فيها تسخيرها لأربابها وطاعتها لهم ثم خروج اللبن خالص من بين الفرث والدم ليكون سائغا للشاربين ، والدلالة الثالثة ما يتخد من ثمرات النخيل والأعناب من الرزق الحسن والعصير وكل ما يحلو للإنسان ، وكان إباحة شرب المسكر قبل تحريم الخمر ، أما الدليل الرابع فى إيحاء الله إلى النحل بأن تتخذ من الجبال بيوتا ومن الشجر الأخضر ومما يعرشون ثم تأكل من كل الثمرات ويخرج الله منها عسلا مصفى فيه شفاء للناس . وفى هذا دليل على القدرة الإلهية [1] ، وقال تعالى ﴿ هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه إن فى ذلك لآية لقوم يذكرون . وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون ﴾ [2] قال ابن كثير (لما ذكر تعالى ما أنعم به عليهم من الدواب والأنعام شرع فى ذكر نعمه عليهم من إنزال المطر من السماء وجعله عذبا يسوغ لكم شرابه وأخرج لكم به شجرا ترعون فيه أنعامكم ، ثم نبه عباده على آياته العظام فى تسخير الليل والنهار يتعاقبان والشمس والقمر يدوران والنجوم فى أرجاء السموات نور وضياء لتهتدوا بها فى الظلمات ، ثم نبه

(١) تفسير القرطبى جـ٦ ص٣٧٥٦ بتصرف .
(٢) النحل الآيات من ١٠ - ١٦ .

على ما خلق فى الأرض من الأمور العجيبة والأشياء المختلفة من الجمادات والحيوانات والنباتات على اختلاف أشكالها وألوانها ثم أخبر عن تسخير البحر وتذليله لهم وخلق السفن وتذليلها للركوب فيه وجعله السمك والحيتان فيه ثم إحلال لحمها حيا وميتا ، وكذلك ما خلق الله فيها من اللآلئ والجواهر النفيسة ليستخرجوا منها حلية يلبسونها ، ثم ذكر الأرض وما ألقى فيها من الرواسى الشامخات والجبال الراسيات لتقر الأرض ولا تضطرب بما عليها ، وجعل فيها أنهارا تجرى من مكان إلى آخر رزقا للعباد ، وجعل فيها سبلا أى طرقاً يسلك فيها من بلاد إلى بلاد ، وعلامات يستدل بها المسافرون برا وبحرا إذا ضلوا الطريق وبالنجم هم يهتدون فى ظلام الليل [1] ، بل إن القرآن لفت الأنظار إلى الانتفاع بما أباحه الله فى الأرض قال تعالى ﴿ وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ [2] ، بل إن الله ذكر البشر بنعمة اللباس حينما قال لهم ﴿ يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون ﴾ [3] ودعاهم إلى الاستفادة بنعم الله فى الأكل والشرب والزينة وغيرها قال تعالى ﴿ يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾ وأنكر على من يحرم الطيبات على نفسه فقال تعالى ﴿ قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٢ ص٥٦٣ – ٥٦٥ بتلخيص وتصرف .
(٢) الرعد آية ٤ .
(٣) الأعراف آية ٢٦ .

نفصل الآيات لقوم يعلمون . قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ [1] ، وقال تعالى ﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه . أنا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الأرض شقا . فأنبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا . وفاكهة وأبا . متاعا لكم ولأنعامكم ﴾ [2] وقد أمر الله المؤمنين بالأكل من الطيبات كما أمر المرسلين وكما أمر الناس جميعا بذلك قال تعالى ﴿ يأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ [3] ، فهى دعوة إلى الانتفاع بما فى الأرض والأكل من الطيب الحلال قال القرطبى (إنها نزلت فى ثقيف وخزاعة وبنى مدلج فيما حرموه على أنفسهم من الأنعام ، والطيب هو الحلال فهو تأكيد لاختلاف اللفظ ، وقال الشافعى الطيب المستلذ وسمى الحلال حلالا لانحلال عقد الخطر عنه ، وقال سهل بن سعد (النجاة فى ثلاثة أكل الحلال وأداء الفرائض والاقتداء بالنبى ﷺ [4] وفى قوله ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ نداء إلى المؤمنين بأن يأكلوا من المستلذات ، أو من الحلالات والمباحات من رزق الله فى الأرض والسماء وأن يشكروا الله على نعمه من أجل تحقق عبادته ، ولذلك قال أهل العلم لقارون لما بتر النعمة ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾ [5] ، ولم يحرم الله على

(١) الأعراف الآيات من ٣١ - ٣٣ .
(٢) سورة عبس الآيات ٢٤ - ٣٢ .
(٣) البقرة الآية ١٦٨ .
(٤) تفسير القرطبى جـ١ ص٥٨٧ .
(٥) القصص آية ٧٧ .

البشر إلا ما فيه ضرر لهم كالميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ، ويلحق بذلك كل ما فيه ضرر بالبدن وكذلك حرم من المشروب كل ما يضر بالعقل من المسكرات وما عدا ذلك فهو مباح كما أمر الله بأكل الطيب مما كسبت أيدى الناس قال تعالى ﴿ يأيها الناس كلوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ﴾ [1] وقال تعالى ﴿ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شئ موزون . وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين . وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم . وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين ﴾ [2] بل جاء الأمر صريحا بالأكل من المباحات فى قوله تعالى ﴿ وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون ﴾ [3] وروى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال ﴿ يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إنى بما تعملون عليم ﴾ ، وقال ﴿ يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك » [4] إلى غير ذلك من آيات خلقها الله للإنسان وأمره أن يستفيد منها فكم من آيات تحدثت عن الأكل والشرب والمتاع والزينة والملبس والحلية والرزق والطيبات والمنافع وغير ذلك مما يدفع الإنسان إلى تلمس وسائل المعيشة من أجل الاستقرار والتمكين فى الأرض .

---

(١) البقرة آية ٢٦٧ .

(٢) الحجر الآيات من ١٩ - ٢٢ .

(٣) المائدة آية ٨٨ .

(٤) أخرجه مسلم فى كتاب الزكاة باب قبول الصدقة من الكسب الطيب جـ١ ص٤٠٥ .

سابعا : (من أغراض آيات الله الكونية أنها تحض العباد على شكر الله المنعم بها) فإن القرآن بهذه الظاهرة يدعونا إلى أن نوجه العبادة إلـ الذى أنعم علينا بهذه الكائنات مسخرة مذللة ، فكما أن فيها مظهرا لقدرة خالقها ففيها كذلك مظهرا للنعمة يوجب شكر المنعم بها ، بتوجه العبادة إليه وحده من صلاة وزكاة وحج وتسبيح وتحميد ، فشكر الجميل سجية فى البشر مقابلة للجميل المقدم من الغير ، والله ذو فضل على العالمين قال تعالى ﴿ يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد ﴾ [1] ، ولذلك حمد الله نفسه فى الأولى وفى الآخرة وأوجب علينا عبادته وحمده قائلين ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [2] شكرا له على نعمه الكثيرة ، قال تعالى ﴿ وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار ﴾ [3] ، والله سبحانه يحب أن يرى أثر نعمته على عباده فى أنفسهم وفيما يحيط بهم من آيات كونية نصبها الله دلالة على وجوده فى الأنفس والآفاق قال تعالى ﴿ ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ... ﴾ [4] وقد روت أن أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال إنه خلق كل إنسان من بنى آدم على ستين وثلثمائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجرا أو شوكة عن طريق الناس أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد الستين والثلاثمائة السلامى فإنه يمشى يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار) [5] ولما كانت نعم الله

---

(١) سورة فاطر آية ١٥ .
(٢) الفاتحة آية ٥ .
(٣) إبراهيم آية ٣٤ .
(٤) لقمان آية ٢٠ .
(٥) رواه مسلم فى كتاب الزكاة باب أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف جـ١ ص٤٠٣ .

لا تحصى وأغلبها أمور كونية فكثيرا ما ترد عقب هذه الآيات الكونية عبارات مطالبة بالشكر عليها مؤكدة وجه الصحة فيها قال تعالى مذكرا عباده بنعمته فى الماء ﴿ أفرأيتم الماء الذى تشربون . أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون . لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون ﴾ [1] أى ملحا جدا هلك الحرث والنسل ، وقال تعالى مذكرا خلقه بنعمته عليهم فى خلق الليل والنهار قال تعالى ﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ [2] فالليل والنهار آيتان من آيات الله حيث جعل الليل لباسا والنهار معاشا قال تعالى ﴿ قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون . قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ﴾ [3] ، وذكر الله عباده بنعمة التمكين فى الأرض فقال تعالى ﴿ ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش . قليلا ما تشكرون ﴾ [4] ثم أمرهم بشكره بعد الأكل من الطيبات التى أباحها لهم فقال تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله إن كنتم إياه تعبدون ﴾ [5] وذكر سبحانه عباده بنعمة خلقهم فقال تعالى ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾ [6] أى الله أخرجكم من بطون أمهاتكم بعد التكوين لا تعلمون

---

(١) الواقعة آيات ٦٨ – ٧٠ .
(٢) القصص آية ٧٣ .
(٣) القصص آيتا ٧١ ، ٧٢ .
(٤) الأعراف آية ١٠ .
(٥) البقرة آية ١٧٢ وفى النحل قوله ﴿ وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله إن كنتم إياه تعبدون ﴾ آية ١١٤ .
(٦) النحل آية ٧٨ .

شيئا من أمور تكوينكم ، أو أمور الحياة وجعل لكم طرق العلم وسبل الإدراك ، وهى السمع والبصر والفؤاد لتدركوا البيئة التى أنتم فيها ، وتقفوا على أسرارها ، والله خلق كل هذا لكى تصرفوا كل حاسة فيما خلقت له (ولعلكم) بهذا (تشكرون) ربكم الذى أنعم عليكم بهذه النعم من الحواس المتعلقة بالإنسان قال تعالى ﴿ قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون ﴾ [1] وقال تعالى ﴿ ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون ﴾ [2] ، والشكر هو الثناء باللسان على الجميل الصادر عن اختيار من نعمة وغيرها لكنه عام فيعم الحمد والمدح ، قال الراغب : الشكر تصور النعمة وإظهارها وأصله من عين شكرى أى ممتلئة فهو الامتلاء من ذكر المنعم عليه والشكر ثلاثة أضرب شكر القلب وهو تصور النعمة وشكر اللسان وهو الثناء على المنعم وشكر سائر الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه) [3] وقال الإمام الجنيد : والشكر هو بذل المجهود بين يدى المعبود وهو يكون شكرا بالقلب بتصور النعمة وشكرا باللسان بذكرها والثناء على المنعم بسائر الجوارح فى استخدامها لما خلقت من أجله والتوفيق إلى الشكر نعمة تستوجب الشكر ولذلك قال فى ختم الآيات (قليلا ما تشكرون) لأن توفية شكر الله صعب على النفس . وشكر النعمة سبب فى زيادتها قال تعالى ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد ﴾ [4] وعدم شكر النعمة يؤدى إلى زوالها كما حدث لقارون فخسف الله به وبداره الأرض وكما حدث لأصحاب الجنة ﴿ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون .

---

(١) القلم آية ٢٣ .
(٢) السجدة آية ٩ .
(٣) مفردات الراغب الأصفهانى فى غريب القرآن ص٢٦٥ .
(٤) إبراهيم آية ٧ .

فأصبحت كالصريم ﴾ [1] وكما حدث لأهل سبأ ﴿ فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل ﴾ [2] وكما حدث للرجلين اللذين جعل الله لأحدهما جنتين من أعناب ﴿ وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحدا ﴾ [3] ولكن لن ينفع الندم بعد فوات الأوان ، فليعلم المسلم أن الله خلق اياته الكونية دلالة على وجوده ، وكلها مسخرة لمنفعة الإنسان وسد حاجاته المعيشية والعلمية ليستفيد منها فى تعمير الكون وتحقق الخلافة ، والأمر بالشكر عقب الحديث عن ذكر هذه الكونيات دليل وجوبه على البشر ، ليشكروا الله على ما حباهم من نعم الخلق والرزق والتمكين فى الأرض ، وتحقيق أمنهم ومنحهم نعمة الولد من أجل استمرار الحياة ، وليتذكر الإنسان نعم الله عليه فى الأنفس والآفاق . ولا يقصر فى شكرها لتتحقق خلافته وتتحقق الغاية من خلقه التى غفل الناس عنها وهى العبادة والطاعة ، وليعلم أن الدنيا ليست بدار استقرار وإنما هى ممر إلى الدار الآخرة قال تعالى ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ﴾ [4] فالحمد والشكر على النعمة يكون فى الدنيا وفى الآخرة أما فى الدنيا فعلى ألسنة الخلائق جميعا قال تعالى ﴿ تسبح الله السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ [5] وجاء على لسان خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام بقوله ﴿ الحمد

(١) القلم آيتا ١٩ ، ٢٠ .
(٢) سبأ آية ١٦
(٣) الكهف آية ٤٢ .
(٤) القصص آية ٨٣ .
(٥) الزمر آيتا ٧٤ ، ٧٥ .

لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربى لسميع الدعاء ﴾ [1] ولذلك امتدحه رب العزة بقوله ﴿ شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم ﴾ [2] وأما فى الآخرة فعلى لسان أهل الجنة ﴿ وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين . وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين . [3]

(١) الإسراء آية ٤٤ .
(٢) إبراهيم آية ٣٩ .
(٣) النحل آية ١٢١ .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الصادق الأمين وخاتم المرسلين سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه أجمعين .

(وبعد) ،،،،

هذه الجولة فى كتاب الله وفى رحاب آيات الله الكونية نصل إلى بعض النتائج المترتبة على هذا البحث :

أولا : القرآن الكريم كتاب هداية وإشاد عقيدة وشريعة فهو يدعو البشر إلى الإتحاد والترابط فى ظل الإيمان بوحدانية الخالق .

ثانيا : أنها دعوة صريحة إلى التعلم ونشر العلم فى أرجاء الكون والإستفادة منه فى تعمير الكون وإصلاح شئون الحياة .

ثالثا : أنها تدعو البشر إلى استعمال عقولهم فى التفكر والتفهم وتجول بخاطرهم إلى ما فى الكون من آيات بينات على قدرة خالقه .

رابعا : أنها تدعو المسلمين إلى إعداد القوة المادية والمعنوية من أجل مقاومة الأعداء وردعهم وتطهير الأرض من شرهم .

خامسا : أنها تدعو البشر إلى المحاورات الجادة والنافعة في إثبات قضايا الوجود واليوم الآخر وما يكون من تشريعات لدى البشر .

سادسا : أن فى دراستها لدعوة إلى شكر النعمة والتوجه إلى خالقها بالحمد والثناء وكذلك استخدامها فيما خلقت من أجله .

سابعا : أن فى دراسة الكونيات لدلالة على البحث والجد فى العلوم المتنوعة التى يكون البشر بحاجة إليها كعلوم البيئة والاجتماع والتاريخ والطب والهيئة والفلك والبحار وغيرها مما حواه القرآن فى آياته .

ثامنا : إن فى دراستها لدليل واضح على إعجاز القرآن وخلوده وشموله وصلاحيته لكل زمان ومكان ودلالته على كل ما يستجد من معلومات عصرية .

تاسعا : فى دراسة الكونيات فتح المجال للعمل والاستفادة من خيرات الله فى الكون فى المطعم والمشرب والملبس والمركب والمسكن والحث على التقيد بالحلال فى كل شئون الحياة .

عاشرا : إن فى دراسة الكونيات دليل على مدى التقدم العلمى فى جميع شئون الحياة وبيان مدى ما وصل إليه العقل البشرى من كمال الرشد وقوة الزكاء والفهم إلى غير ذلك من نتائج .

هذا وبالله التوفيق

أ. د./ محمد شبل مصطفى عطية

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مراجـــع البحـــث

أولا : القرآن الكريم .

ثانيا : مراجع التفسير :

١ – البحر المحيط للإمام أبى حيان .

٢ – تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير الدمشقى .

٣ – الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى .

٤ – جامع البيان للإمام ابن جرير الطبرى .

٥ – حاشية الجمل على الجلالين للإمام سليمان بن عجيل الشهير بالجمل .

٦ – صفوة التفاسير للشيخ محمد على الصابونى .

٧ – الكشاف عن حقائق التنزيل للإمام محمود الزمخشرى .

٨ – مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفى .

ثالثا : علوم القرآن :

١ – أسباب النزول للإمام الواحدى النيسابورى .

٢ – البرهان فى علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشى .

٣ – الاتقان فى علوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطى .

٤ – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للأستاذ / مصطفى صادق الرافعى .

٥ – بدائع الفوائد لابن القيم الجوزى .

٦ – البيان فى مباحث علوم القرآن د/ عبد الوهاب غزلان .

٧ – التيسير فى معرفة بعض علوم القرآن الكريم د/ محمد شبل عطية .

٨ – دراسات فى علوم القرآن د/ محمد بكر إسماعيل .

٩ – الفوائد لابن قيم الجوزية .

١٠ – مباحث فى علوم القرآن لمناع قطان .

١١ – مفردات الراغب الأصفهانى فى غريب القرآن .

١٢ – مناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ الزرقانى .

رابعا : الحديث الشريف :

١ – صحيح الإمام البخارى بحاشية السندى .

٢ – صحيح الإمام مسلم بن الحجاج النيسابورى .

٣ – الجامع الصحيح للإمام الترمذى المسمى بسنن الترمذى .

٤ – سنن الإمام ابن ماجه . القزوينى .

٥ – كشف الخفاء للإمام العجلونى .

٦ – فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى .

خامسا : مراجع أخرى :

١ – الإسلام والمدنية للأستاذ / محمد فريد وجدى .

٢ – الفلسفة القرآنية للأستاذ / عباس محمود العقاد .